ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1021 - الجمعة 21 ربيع الأول 1424 هـ - الموافق 23 ماي 2003

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

المولد النبوي الشريف

دين الإسلام يحرم الظلم

بالعدل قامت السماوات والأراضون كما قيل، ومن المعلوم أنه لا يمكن لأمة أن تنال مكانتها بين الامم والشعوب، إلا إذا كان العدل هو سيد الموقف، والمشروعية هي التي تنير الطريق لأفراد تلك الأمة، ليسلكوها آمنين مطمئنين.

فعن أبي ذر رضي الله عنه في ما روى عن النبي (ص) في ما روى عن الله تبارك وتعالى، أنه قال: 'يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا إلى آخر الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري مطولا.

فظاهرة الظلم تجلب عدم الاستقرار وسفك الدماء، وزهق الأرواح، وسلب أموال الناس وإدخال الذعر والهلع في قلوب الساكنة...

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال: 'اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من قبلكم، حملهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم'.

لقد نادى الإسلام بالدفاع عن حقوق الانسان، وحذر من انتهاك حرمته وبين مكانته وأظهر أن كل فرد فرد، له حق وعليه واجب، فعن أبي شريح الخزاعي، أن النبي (ص) قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت).

هذا التوجيه الرحماني الذي جاء به سيد الأولين والآخرين، يكمن في طياته احترام الإنسان لأخيه الإنسان، كما يتجلى فيه سمو المكارم الأخلاقية من تكافل اجتماعي ومراعات للحقوق والواجبات بين أفراد البشرية بصفة شمولية.

ومن تقدير الإسلام للمعاهد الذي ليس على دين الإسلام كيف ما كان معتقده، ما جاء في الحديث الذي يوجد في صحيح البخاري، مبوبا على إثم من قتل معاهدا بغير جرم، قال بعد أن ذكر سند الحديث أنه (ص) قال: 'من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما'.

إن المنهاج الإسلامي الرباني الرحماني الإنساني، واضح وظاهر ظهور الشمس، في رابعة النهار.

فعلى من يجهله أو يتجاهله، أن يراجع ما جاء في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة ليعلم علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم، جاء برسالة رحمة للعالمين، تجمع ولا تفرق، وتبشر ولا تنفر، وتحذر من الخلال الذميمة والنعوت السقيمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري: (أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا، من إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها).

فعلينا أن نعلم حقيقة الإسلام ونعلمها أجيالنا الصاعدة، ونعرف بحقيقته النقية الإنسانية السلمية الكونية، من لا يعرف حقيقته، أو من شوهت له صورة الإسلام الجميلة التي تتجاوب مع الفطرة وتحميها من كل دنس وتنقيها من كل ضرر، إنها رسالة المحبة والصفاء والود والإخاء بين أبناء البشرية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله (ص) قال: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه).

وفي الأثر من أعان ظالما على مظلوم، سلطه الله عليه، وفي الأثر كذلك: من مشى مع ظالم فقد أجرم، والله تعالى يقول: 'إنا من المجرمين منتقمون'، وفي كتابه تعالى: 'إنما بغيكم على أنفسكم' سورة: يونس، الآية: 23.

فلنترك للإنسان حرمته ولنبتعد عن مواطن الظلم ونحكم التوجيه الرباني الإسلامي في نفوسنا.

ومن أعظم الظلم القتل بغير حق، وفي الأثر: الإثم متعلق بالقتل العمد، قال الله تعالى: 'ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما' سورة: النساء، الآية: 93.

وكم من آية كريمة وحديث نبوي شريف صحيح حذر من الظلم، قال الله تبارك وتعالى: 'وكذلك أخذ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد' سورة: هود، الآية:102. وقال تعالى: 'ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا' ، سورة:الفرقان، الآية:19.

وقال جل وعلا: 'لا تظلمون ولا تظلمون' سورة: البقرة، الآية:278.

قال صلى الله عليه وسلم: 'اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب'. حديث متفق عليه.

يتبين مما أسلفنا ذكره أن ديننا الإسلامي يحرم الظلم ويمنعه منعا باتا على المؤمن المتشبث بقيم الإسلام، المطبق لما جاء به نبي الرحمة.

وفقنا الله لما يرضيه وسلك بنا سبيل من يتقيه، إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

السيادة في حق الرسول وأوجه موافقتها للسنة

الكرامة الآدمية في الميزان

مكانة التفسير الفقهي

موقع الأم في التوجيه النبوي

إن إجراء نظرة عامة في القرآن الكريم والسنة النبوية نجدفيها الاهتمام الكبير بمكانة الأم في التوجيه السماوي أولا ثم في التوجيه النبوي على ضوء ماورد عن الله في كتابه الكريم.

فالآيات القرآنية، التي تتحدث عن الأم والدفاع عن طهارتها وبراءتها مشرقة بين الآيات القرآنية، ففي الآية ٢٨ من سورة مريم، يقول الله تعالى: 'ما كان أبوك امرأ سوء، وما كانت أمك بغيا' فالله عز وجل يدفع التهم عن سيدتنا مريم ويشهد ببراءتها مما قيل فيها وهي أم أحد الأنبياء.

وفي آية أخرى في سورة طه يشرك الله عز وجل الأم في الوحي إليها بأمرهو وحده يعلم ماوراءه فيقول الله عز وجل: 'إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى'.

وفي سورة الأحزاب في الآية السادسة، يجعل الله عز وجل من أزواج الرسول (ص) أمهات للمومنين جميعا، فيقول تعالى: 'النبي أولى بالمومنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم' فرفع درجة زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام إلى درجة الأمهات في المكانة الدينية والاجتماعية عند المسلمين، وهذا أمر يشرف المسلمين عامة أن تكون زوجات الرسول (ص) في موقع الأم، احتراما وتقديرا وتكريما وإجلالا وحبا.

تتمة : ص. ١٠

م٠ر٠٠.

السيادة في حق الرسول (ﷺ) وأوجه موافقتها للسنة

■إعداد: ابراهيم مومن

■ بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف يجدر بنا أن نقف وقفة مع موضوع ذي صلة بالمناسبة - والمناسبة شرط في الكلام - حيث يلاحظ في الآونة الأخيرة وبشكل مثير أن بعض الاتجاهات الدينية تبالغ في مسألة إنكار القول بلفظ السيادة في حق الرسول (ﷺ) عند ذكر اسمه، وخاصة فيما يتعلق بقراءة الصلاة الابراهيمية المشهورة، سواء عقب التشهد في الصلاة أو عند ختم الدعاء، وتعتبر لفظ "سيدنا" بدعة مخالفة لما ورد في السنة كما يستفاد - حسب فهمهم - من سياق جملة نصوص حديثية نبوية أهمها:

الحديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) (1)،

الحديث: (لا تسودوني في الصلاة) (2)،

الحديث: (يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) (3).

وغالبا ما يسقطون مثل هذا الكلام على كل لفظ زائد مقترن باسم الرسول (ﷺ)، نحو لفظ "مولانا" اثناء القول: "مولانا محمد" أو "مولانا رسول الله" (ﷺ).

نعم، إن التمسك بالسنة والأخذ بها أمر مطلوب ومحمود، ومن أوجه ذلك - كما هو معلوم - ما نقل عن رسول الله (ﷺ) إما قولا أو فعلا أو تقريرا أو صفة خِلقية أو خلقية، لكن هذا الأمر يبقى على إطلاقه لأنه يحتاج إلى مزيد بيان لمنهج البحث وتملك أدوات الاستقراء العلمي الدقيق للنصوص الشرعية قرآنا كانت أو سنة من أجل فقه كيفية الأخذ بسنة من السنن كيفما كانت، حتى لا تحملنا الرغبة في الاقتداء بسنة ما على ارتكاب ما يخالف السنة نفسها، وأحيانا الخروج عنها كما هو حال القضية المطروحة.

وغير خاف أن كل تقصير في طريقة البحث عن حقيقة من الحقائق سواء كان من الجانب المنهجي أو العلمي أو الآلي يؤدي لا محالة بصاحبه إلى استنتاجات خاطئة، وقد يجر ذلك إلى منزلق خطير هو إصدار أحكام جزافية بناء على تلك النتائج التي يعتقد صحتها، فينتشر ذلك في عامة الناس على خطئه وتعم به البلوى، وما أخطر مثل هذا !!!

ولتمحيص تلك الأدلة الحديثية التي غالبا ما يستدل بها منكرو لفظ "سيدنا" وشبهه في حق رسول الله (ص)، وقبل إدراج الأدلة النقلية والعقلية التي ترجح جواز هذا الفعل بدل إنكاره وتؤيد سنته بدل تبديعه، ننظر فيها تباعا:

فأما الدليل الحديثي الأول، فمعناه عام وشبيه باللفظ النبوي المشهور: .. كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.." وكل ذلك يقوم دليلا - بالأساس - على أن من ابتدع بدعة في أمور جوهر الدين كالعبادات: من غسل ووضوء وصلاة وصوم وحج.. أو المعاملات.. على خلاف ما شرعه الله لرسوله وارتضاه له يكون مردودا عليه فعله ويؤثم عليه، كما قد يؤخذ من هذا الدليل وذاك ترهيب من يريد التجاسر على أمر الدين تبعا لمزاجه وهواه رغبة في نيل مصلحة أو سعيا في تحقيق منفعة.

وأما الدليل الحديثي الثاني، فهو مجرد كلام منسوب إلى الرسول (ﷺ) كذبا، وحديث موضوع لا أصل له سندا ومتنا كما نبه عليه المحققون، فلا عمدة عليه - إذن - ولا عمل به البتة.

بينما الدليل الحديثي الثالث، فعلى الرغم من صحته سندا ومتنا فإنه لا يعني بالضرورة أن زيادة لفظ "سيدنا" عند التصلية بدعة مثلما يظهر من خلال منطوق النص فحسب، دونما النظر إلى قرينه سبب الورود، والمعنى المقصود، واستقراء باقي النصوص، وإجراء ما يلزم من المقارنات والمقابلات.

صحيح أن جواب النبي (ﷺ) عن السؤال - كما ورد في النص الحديث الثالث - كان صريحا وواضحا، لكن ما ينبغي أن يعلم أنه (ص) يروي عنه أنه قبل الجواب أطال السكوت ثم أجاب، وفهم سكوته هذا على أنه كان يتردد في قول: "سيدنا" في حقه بنفسه، ففضل أن يجيب بما نقل عنه وتضمنه حديثه الشريف، وحمل ذلك بطبيعة الحال على التواضع منه (ﷺ)، لاسيما وأنه سئل عن أمر يتعلق به شخصيا فكان رده (ص) قمة في التواضع، وكيف لا وقد بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وهو الذي خصه ربه بالخطاب حين امتدحه وأثنى عليه بقوله: "وإنك لعلى خلق عظيم" (4).

وإن مما يعضد هذا النوع من الفهم ويقوي منحاه ويحمله على جادة الصواب هو وجود نصوص حديثية أخرى - بغض النظر عن القرآن - تضمنت لفظة السيادة تنصيصا، وصدرت من الرسول (ﷺ) بنفسه عن نفسه كنحو قوله فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، وفي رواية: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع) (5)، والواضح من النصين أن هاهنا مقاما يقتضي مثل هذا المقال، وهو إظهار رسول الله (ص) لنعمة الله عليه، تبعا لقول الله تبارك وتعالى: "وأما بنعمة ربك فحدث"(6).

ولعل ما يقوم دليلا على صحة هذا الملحظ هو الحديث الذي نقل عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا قال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس عليكم بتقواكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد ابن عبد الله عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل×، وتكفي هذه الإشارة القوية منه (ص) بأنه يذم من المدح ما يتجاوز الحد ولا يناسب المقام مراعاة لمقتضى الحال ووازع الخلق والأدب(7).

والحق أن تسييد الرسول (ﷺ) إنما هو زيادة في الإخبار بواقع سلوكه (ﷺ) (8) كما نبه على ذلك الحنفية والشافعية (9)، وقد انفرد المالكية في هذا الباب بإشارة لطيفة وهي أن الأدب يراعى قبل السنة مادامت المعاملات في أصلها تحمل على التوفيق، عكس العبادات التي لا يعمل فيها إلا بالتوفيق والتوقيت كما هو معلوم.

وقد استند المالكية في هذا على ما جرى بين الرسول (ﷺ) وأبي بكر في مسألة الإمامة بالناس في الصلاة كما يستفاد من نص الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قال: (كنا عند عائشة رضي الله عنها فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، قالت: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقيل له إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له فأعاد الثالثة، فقال إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس فخرج أبو بكر فصلى فوجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مكانك، ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه، قيل للأعمش: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر فقال برأسه نعم. رواه أبو داود عن شعبة عن الأعمش بعضه، وزاد أبو معاوية: جلس عن يسار أبي بكر فكان أبو بكر يصلي قائما (10).

ولذلك أثر عن أبي بكر رضي الله عنه قوله: "ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله (ﷺ)، لأنه - كما يحكي القاضي عياض نفسه - لا يجوز لأحد أن يؤمه، ولا يصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها، ولا لعذر ولا لغيره، وقد نهى الله المومنين عن ذلك بصفة أشمل كما دلت عليه الآية الكريمة في مطلع سورة الحجرت: "يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله".

وغني عن البيان، أن الرسول (ﷺ) قد حظي بأرقى صور التشريف والإكبار من لدن الله تعالى قبل أي أحد، بحيث ما ثبت في نص من القرآن أن نادى الله عليه باسمه أو اسم آخر غير مشرف ولا معظم على خلاف الأنبياء (11).

والجدير بالذكر، أن ترك لفظ "سيدنا" عند ذكر اسم الرسول (ﷺ) لا يترتب عليه أي إثم أو ذنب، لأنه من باب ما يندب في حقه (ﷺ)، ولا أدري كيف وضع في منزع الخلاف بين علمائنا منعا وجوازا، لكن مع ذلك فمن سيد الرسول (ﷺ) عند ذكره يكون أفضل ثوابا وأجرا على من تركه (12)، لما في ذلك من كبير احترام لمقام سيدنا ومولانا محمد(ﷺ) وتعظيم شأنه، امتثالا لقول الله تعالى: " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا" (13).

ثم ما يزيدنا يقينا في جواز تسييد مولانا رسول الله (ﷺ) ذلك الأمر الإلهي الموجه إلى فئة المومنين بلزوم الصلاة على سيدنا محمد - بعد إقرار صلاته سبحانه عليه بمعية ملائكته - وقد أنزل في هذا الأمر قرآنا يتلى ويتعبد به حين قال الحق سبحانه وهو أعز القائلين: "إن الله وملائكته يصلون على النبيء يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"(14)، فلزم من آداب الصلاة عليه تسييده، تأدبا وتعظيما وتشريفا، عملا بفحوى الآية الكريمة: "لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضا" (15).

ومما ينبغي أن يعلم أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يتداولون هذا اللفظ فيما بينهم بداعي التشريف والتعظيم، كنحو ماروواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:" كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا يعني بلالا" (16)، بل جرى مثل ذلك عرفا على لسان العرب كقولهم: إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا.. فأي ضرر - إذن - يترتب على القول بالسيادة في حق الرسول (ﷺ) عند ذكر اسمه، أو بأباه الدين حتى يصير بدعة في حجم البدعة حقيقة"(17).

وإن من العجب العجاب وغرائب هذا الأمر، أن بعض المنكرين لتسييد مولانا رسول الله (ﷺ) - وللأسف الشديد - تجدهم لا يرضون لا لأنفسهم ولا لزعمائهم من ينادي عليهم بأسمائهم مجردة، بل يصل بهم الحال أحيانا إلى الغضب، ولا ندري كيف يشتهون لأنفسهم لقب السيد - والعالم ، والشيخ، والإمام.. ولا يتهيبون من إنكار كل ذلك في حق سيد البشر وهو أولى به من غيره (18)، وما أحسب قول الشاعر - ولله ذره - إلا ردا على أمثال هؤلاء:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وفي الختام، يجمل بنا أن نشير في هذا الصدد إلى ما دأب عليه علماؤنا في المغرب - مشكورين - ويستحق منا مزيدا من التقدير والإجلال، ويحسب من كرائمهم - وما أكثرها - فقد ظلوا متشبثين بتسييد مولانا رسول الله (ص) ومؤيدين لسنية هذا الفعل ومنافحين عنه، وذلك من خلال ترديده في أذكارهم وأورادهم، وتصديره به حلقات دروسهم ومواعظهم، وتضمينه في تآليفهم وكتبهم.. إكبارا وتعظيما لمقام سيدنا محمد (ﷺ)، وتيمنا ببركة ذكر السيادة في حقه، محبة في شخصه، وإظهارا لاتباع سنته، والاستمساك بهديه، ورغبة في نيل أجر وثواب ذكره.

الهوامش:

1 - رواه البخاري ومسلم .

2 - حديث موضوع.

3 - صحيح البخاري.

4 - سورة القلم/4.

5 - سنن أبي داود/ كتاب السنة، وسنن ابن ماجة/ كتاب الزهد، ومسند الإمام أحمد..

6 - سورة الضحى / 11.

7 - تأمل في قول رسول الله (ﷺ): "لا تقولوا للمنافق سيدا فإن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل" رواه أبو داود في سننه/ كتاب الأدب، ونقله الامام أحمد في مسنده بلفظ شبيه به: "لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل".

8 - فقد أورد ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى : "وسيدا وحصورا ونبيئا من الصالحين" الأية:/39 سورة آل عمران أن السيد: هو الشريف الكريم، والفقيه العالم، ومن لا يغلبه الغضب، كما أشار الإمام القرطبي في تفسيره لنفس الأية وذكر - فيما ذكر - أن السيد هو يسود قومه وينتهي إلى قوله، وهذه كلها أوصاف محققة في شخص رسول الله (ص) وزيادة.

9 - "تندب السيادة لمحمد في الصلوات الابراهيمية، لأن زيادة الإخبار بالواقع عين سلوك الأدب، فهو أفضل من تركه"الفقه الاسلامي وأدلته: د.وهبة الزحيلي/ ج: 1 - ص:721.

10 - صحيح البخاري/ كتاب الأذان.

11 - قال تعالى لنوح: "يا نوح اهبط بسلام"، ولأدم: "يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة"، ولإبراهيم: "يا إبراهيم اعرض عن هذا ، "ولموسى: "وما تلك بيمينك يا موسى"، ولداود: " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض"، وليحيى: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة"، وآخرون... أما سيدنا محمد (ﷺ) فخاطبه بـ: "يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك"، "يأيها النبيء"، "يأيها المزمل" ،"يايها المدثر"..

12 - عن عبد الله بن مسعود قال: "إذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قال: فقالوا له فعلمنا، قال : قولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة.

اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد الله بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبرهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد.

× سنن ابن ماجة/ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها.

13 - سورة النور/61، وتفيد الأية الكريمة دعوة صريحة وواضحة من الله للمومنين إلى التأدب مع الرسول (ص)، أي: لا تجعلوا نداءكم وتسميتكم له مثل نداء بعضكم بعضا.

14 - سورة الأحزاب/ 56.

15 - سورة الحجرات/ 2.

16 - صحيح البخاري/ كتاب المناقب.

17 - يقول الإمام الشاطبي معرفا مصطلح البدعة: "عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه "الاعتصام/ ص:28.

18 - قال الزجاج: (السيد من يفوق أقرانه في كل شيء من الخير)، نقلا عن تفسير القرطبي لسورة آل عمران/الأية 39.

الوثاق

تحفة الحالف بما في لاسكنت من اللطائف

للعلامة الفاطمي محمد الشرادي

■ الأستاذ : إدريس كرم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، القائل في كتابه العزيز: "وما بكم من نعمة فمن الله".
والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد بن عبد الله، البـاذل نفسه في مرضاة الله، وعلى آله وأصحابه الأطيبين الهادين المهتدين الأطهرين.
أما بعد:
فقد وقعت المذاكرة مع بعض الإخوان فيما يجري كثيرا على اللسان حتى صار ديدنا للغفلة من أبناء الزمان من الحلف بلا سكنت أو لا ساكنته، أو لأنتقلن أو لأسافرن وما في معنى كل.
فأردت تقييد ما يسره الله تعالى مما عثرت عليه في بعض الأحيـان، وبيان ما يحتاج إليه من حلت به النازلة على قدر الإمكان، والله تعالى الموفق للإيمان، والهادي إلى الصواب، وإليه في كل حال المرجع والمآب.

2/2

والواجب عليه في لا أساكنه ولا ساكنته قيد بالإلزام لا كما تقدم أن ينتقل ويغير ما كان عليه من المساكنة مع ذلك الشخص المحلوف إلى حالة أخرى، ويزول معها إسم المساكنة عرفا بأن ينتقل الحالف فقط ويبقى المحلوف عليه في المحل، أو ينتقل المحلوف عليه فقط أو ينتقلا معا، لأن المراد هنا أن لا يبقيا معا مشاركين في السكنى فيزول ذلك بما ذكر، أو بضرب جدار بينهما في الدار الواحدة ولو ضرباه من جريد النخل ونحوه بشرط أن يتخذ لكل جهة مدخل على حدة يخصه، وأن تكون اليمين لما يقع بين العيال، فإن كان لكراهة جوار فلابد من الإنتقال، وإن لم تكن له نية فقولان.
وإلى حكم لا ساكنه أشار المصنف رحمه الله بقوله، وانتقل في لا ساكنه عما كانا عليه، أو ضربا جدار ولو جريدا في هذه الدار، فظهر أن قول الحالف لا سكنت ليس له معه شيء من البقاء أصلا، بخلاف لا ساكنه قد يبقى إذا ارتحل المحلوف عليه، والفرق بينهما ظاهر، ان لا سكنت فصل في سياق النفي كالنكرة في سياق النفي للعموم.
قال السبكي والأصح تعميم لا يستوون ونحو لا أكلت، قيل وإن أكلت فهو حالف على عدم وجود السكنى منه، فإن وجدت منه مع امكان الانتقال حنث بارتكابه خلاف ما حلف عليه، واما لا ساكنه فهو حالف فيه على عدم الإجتماع والمشاركة مع زيد مثلا في السكنى فمهما غير إحالة السكنى، بينهما التي كانا عليها إلى حالة أخرى حنث بالشروط السابقة في لا سكنت، هذا إذا قيل لا ساكنته بالدار أو كان على نيتها أو دل عليها البساط، وكذا لا ساكنه في حارة أو حارتين، والقرية صغيرة وانتقل إلى حارة أخرى فإن كبرت القرية كالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، لم يتوقف البر على انتقاله وفائدة يمينه انه لا يقرب منه ولا يسكن معه فإن كانت يمينه لا ساكنه بهذه البلدة أو ببلده فالظاهر انتقاله لأخرى على فرسخ، وأما إن حلف لا ساكنه ولو بقرية صغيرة فمعنى انتقاله حيث لا نية ولا بساط أن لا يجتمع معه في مسقى أو محطب أو مسرح، بل يتباعد عنه، فإن كبرت البلدتان وحلف لا ساكنه، فلا يقرب منه عرفا، هذا كله في غير أهل العهود، وأما هم فلابد أن ينتقل عنه نقلة بنية حتى يتقطع ما بينهما من خلطة العيال والصبيان ولا ينال بعضهم بعضا في الصارية والاجتماع إلا بكلية.

فـــرع:

لا يحنث الإنسان في لا ساكنه بالسفر، معه إلا أن ينوي التنحي، وأما سكنى أحدهما بعلو الدار والآخر بسفيلها في الحلف بلا ساكنة عد إن كانا معا في سفليها أو فوقيها أجزأ في البر إن كان سبب اليمين ما يقع بينهما من أجل الماعون ونحوه.
وأما العداوة فلا يكفي، والواجب عليه في لأنتقلن من الدار أو من هذه الدار أو دار فلان ونحو ذلك الخروج منها فورا، ولكن الفوقية هنا ليست كالتي في لا سكنت، فإذا حلف في الليل فيصير إلى الصباح، وهو على حنث لوجود صيغته، ولأبطأ امرأته حتى ينتقل لقول المصنف في باب الطلاق، وإن نفى ولم يوجل كأن لم يقدم منع منها فلا يحنث بالبقاء مطلقا في لأنتقلن وما في معناه، كما كان في لا سكنت، وإليه أشار المصنف رحمه الله بقوله لا في لأنتقلن أي لا يحنث بالبقاء فيه، ولا بخزن اي طارء بعد الانتقال في الدار المحلوف عليها، فإن قيل قولكم فورا ينافي ما تقرر ان المشهور في صيغ الحنث انها على التراخي لا على الفور. القلشاني.

******

قال الإمام ابن رشد في حمل يمينه لأفعلن على الفور فيحنث بتأخيره أو على التراخي فلا يحنث به قولان، ثم قال والقول بأنه على التراخي، بل المشهور من المذهب ومثله في نقل المواق، قاله الشيخ بناني، قال العلامة الرهوني، والقول بالتراخي هو أيضا مذهب المدونة، ففيها ومن قال لامرأته والله لأطلقنك فليس بمذل، ولا يمنع من الوطء، فإن شاء طلق وبر في يمينه، وإن لم يطلق لم يحنث إلا بموته أو بموتها، ولا يجبر على الكفارة، ومثله في المواق.

******

وفي ابن القاسم فيمن أبق عبده فحلف إن ظفر به ليعاقبنه فظفر به فأخر عقوبته إنه لا يكون حانثا إلا أن يموت الحالف قبل أن يعاقبه، فيكون حنثه في ثلث ما لديه، وفي الحطاب عند قوله وحنث إن لم تكن له نية الخ عن ابن رشد أيضا أن من حلف ليفعلن فلم يفعل حتى مات وقع عليه الحنث بعد الموت، فإن كان حلفه بالعتق وجب أن يعتق ما لم تقم قرينة على الفور كلأنتقلن فإنه ظاهر في قصد الحالف الإنتقال وكراهة البقاء، فإذا تراخى عن الانتقال القدر الذي أراد حنث كمن منت عليه زوجته بسكناه في دارها، فحلف لينتقلن، فحلفه لرفع منتها ، فطول اقامته بعد إثنان انتقاله يوجب حنثه، انظر تكميل ابن غازي.

تنبيه:

قول المدونة: ولا يمنع من الوطء فإن شاء طلق لخ، هذا فيما إذا كانت يمينه بالله كما هو نصه وأما إن كانت يمينه بالطلاق حتى يطلق فينجز عليه الطلاق لقول المصنف في بابه إلا إن لم أطلق فأنت مطلقا فينجز عليه الطلاق، ويقع ولو مضى زمنه، وعلى هذا لا مخالفة بين كلامها، وقول المختصر وإن نفى ولم يوجل منع منها لما علمته.

******

والواجب عليه في لأسافرن السفر لكن السفر الشرعي وهو أربعة برد، ولا يكفيه السفر اللغوي تقديما للمقصد الشرعي على المعنى اللغوي فيما له معنى شرعي ومعنى لغوي خلافا لترتيب المصنف في قوله، ثم عرف قولي، ثم مقصد شرعي فإنه يفيد تقديم اللغوي علي الشرعي،، فقال وسافر القصر في لأسافرن، ثم إذا سافر القصر وجب عليه أن يمكث نصف شهر سائرا أو مقيما، وندب كما له، وإليه أشار بقوله، ومكث نصف شهر، وندب كماله، كلأنتقلن اي من البلد لا من الدار.

الحالف بلأسافرن لأنتقلن من هذا البلد أو لأخرجن:

الوجه الرابع:

إذا فعل الإنسان المحلوف عليه بلا سكنت وما معه وبر في يمينه فعل يرخص له أن لها كان عليه أن لا يعود، أما في لا سكنت ولا ساكنته لا يرجع للسكنى بحال ومهما رجع إليها حنث لأن يمينه أن لا توجد منه السكنى، ولو عاد إليها بعد انتقال الملك وتبديله لغير من كانت له وقت اليمين في قوله لأسكنن دار فلان، ولم يزد إسم الإشارة، أو عاد لها بعده إن خرجت وصارت طريقا ولو مع اسم الإشارة، وإلى هذا أشار المصنف رحمه الله بقوله، وحنث بعوده لها بعد ءاخر في لا سكنت هذه الدار أو دار فلان، هذه إن لم ينو مادامت له لا دار فلان ولا إن خرجت وصارت طريقا.
ومفهوم السكنى أن رجوعه إلى الدار بلا قصد السكنى لا يحنث به قال سيدي الخرشي رحمه الله لدى قوله، ولا إن خرجت أما لو حلف أن لا يسكنها، فهذا لا يحنث ولو جلس فيها أو نام من خراب إذا نقل أمتعته منها إن كان له فيها أمتعة وهذا إن لم يقصد التنحي، وإلا حنث حتى بالزيارة لقوله وحنث أبي الحالف بلا ساكنته بالزيارة إن قصد التنحي لا لدخول عيال، وقيد الزرقاني الحنث بزيارة أيضا بما إذا كان لا ياتي من بلد آخر، وإلا فله أن يقيم عنده اليومين والثلاثة.

******

وأما في لأنتقلن أو لأسافرن وما في معنى ذلك إذا فعل ما حلف عليه من الإنتقال والسفر على الوجه السابق، مكث نصف شهر لخ ما تقدم، فله أن يرجع لمحله بشرطين: أن لا تكون يمينه كرها في المجاورة وإلا فلا يعود لمجاورة ما حلف عليه مادام بالمحل، وأن لا تكون لدفع المنة، وإلا فلا يرجع كذلك.

******

ففي الشيخ بناني لذا قوله كأنتقلن نقلا عن التوضيح، وهذا إذا قصد إرهاب جاره ونحو ذلك، وأما إن كره مجاورته فلا يساكنه ابدا، وكذلك ينبغي في مسألة المتن انه ان رجع إليه حنث وإلى حكم لا سكنت ولأنتقلن ولا بقيت انتقالا ورجوعا أشار الإمام المحقق الجهبذ المدقق أبو علي ابن رحال - رحمه الله تعالى - بقوله:

وحالف بلا سكنت في المكان
يلزمه الرحيل في فور الزمان
ولا رجوع له مطلقا وإن
خالف في الحالين حنثه فمن
كذلك لابقيت لكن يرجع
ان شاء من بعد انتقال يقع
لكن بقي عليه رحمه الله شروط الحنث بالبقاء في الحلف بلا سكنت وما في معناه، وهي الثلاثة المتقدمة، وبقي عليه أيضا القيد ان المتقدمان في جواز الرجوع للسكنى في الحلف بلا بقيت ولأنتقلن، وجمع ذلك شيخنا وسيدنا الإمام المحقق ابو العباس سيدي ابن الخياط تتميما لشتات هذه المسألة، وتكميلا، لقيودها لنفاستها على عادته حفظه الله بمنه فقال بعد البيت الأول من أبيات الإمام ابن رحال:

ونقله لرحله إلا إذا
كان الفساد حاصلا ان أخذا
أو كان حتفه لغير المنة
أو كان في غير محل سكناه

وقال أيضا رضي الله عنه بعد البيت الأخير من أبياته في شرطي جواز الرجوع السابقين:

ان لم يكن لمنة أو بغض
فلا رجوع له في ذا الفرض

فقوله ونقله معطوف على فاعل يلزمه وهو الرحيل، وقوله إلا إذا كان الفساد لخ مستثنى من لزوم الرحيل، أي فلا يحنث بالبقاء، وقوله ان لم يكن لمنة أو بغض قيد في قوله لكن يرجع لخ.

الوجه الخامس:

في ألفاظ الحنث بما تقدم لموافقتها في المعنى

وإن اختلفت موادها قد ألحقوا بلأسافرن لأخرجن ولأنتقلن قيد بالبلد أو بالدار فهو مثله في المكث نصف شهر فقط وفي معنى لأنتقلن لأرحلن وكذا لا بقيت كما في نظم ابن رحال وكما أفتى به الشيخ القصار وكذا لا أقمت وما ينبغي وجعل لا أقمت ولا بقيت بمعنى لأنتقلن هو من رد صيغة البر للحنث بغير واسطة الترك ففي تكميل التقييد حكى الصرصري في كتاب الإيلاء فيمن قال والله إن بقيت في هذه الدار ولا بقيت أو ما نبقى هل يرد إلى قوله لا سكنت فيحنث متى ما رجع وهو الذي اختاره أبو إسحاق ابراهيم القاري هـ.
قال الشيخ بناني بعد هذا وقد علمت أن الأول هو الموافق لما تقدم ولفتوى القصار به، وعلى ذلك أيضا ذهب شيخ الجماعة أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه في نوازله الكبرى حيث رد قول الحالف بلا بقيت ساكنا إلى لأنتقلن والحقوا بلا سكنت، لا أسكن وكذا الا اعاشر ولا أجتمع ولا ساكنته ومنه ما يكثر في السنة العوام لا سكنت معه، فهو ملحق بلا ساكنته لا بلا سكنت لأنه أخص منه، فاهم.
والله تعالى اعلم واحكم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه أجمعين والحمد لله رب العالمين.
وكتبه افقر الورى إلى مولاه الغني به عمن سواه عبد الله محمد الفاطمي بن محمد الشرادي لطف الله تعالى به وبالمسلمين آمين.
حجة عام 1329 كاتبه من فيضة شيخه محمد بن عبد السلام الفحصي العوامي حفظه الله بمنه وستر عيوبه بكرمه في 26 ربيع النبوي عام 1324).

في ظلال الحديث

الحديث الخامس والستون: الإشاعة

نص الحديث: حدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا حماد بن زيد عن معلى بن زياد عن معاوية بن قرة عن معقل بن يسار أن رسول الله (ﷺ): "قال العبادة في الهرج كهجرة إلي" رواه مسلم.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، ج4ص2268ح2948 وابن حبان في صحيحه، ج13ص290/ح5957. والترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ماجاء في الهرج والعبادة فيه، ج4/ص490/ح2201. وابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات، ج2/ص1319/ح3985. وابن حنبل في مسنده ج5/ص25/ح20313.

سند الحديث

هذا الحديث رواه مسلم، وغيره وهذه تعريفات موجزة برجال سند إحدى روايات مسلم.

يحيى بن يحيى: هو أبو زكريا يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن التميمي، رجل صالح وإمام من أئمة المسلمين، قال يحيى بن يحيى ثقة. وأثنى أحمد بن حنبل عليه خيرا. ولد سنة 142هـ. ومات ليلة الأربعاء غرة ربيع الأول سنة 226هـ.

حماد بن زيد: هو أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الإمام الحافظ المجود شيخ العراق الأزدي مولاهم البصري الأزرق الضرير، قال ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة الثوري ومالك والأوزاعي وحماد بن زيد. وقال يحيى بن معين ليس أحد أثبت من حماد بن زيد وقال يحيى بن يحيى ما رأيت شيخا احفظ منه وقال أحمد بن حنبل هو من أئمة المسلمين من أهل الدين، كان مولده سنة 98هـ، ومات في رمضان سنة 179هـ رحمه الله تعالى.

معلى بن زياد: هو أبو الحسن معلى ابن زياد القردوسي البصري. قال عنه يحيى بن معين وأبو حاتم ثقة وذكره بن حبان في كتاب الثقات، واستشهد به البخاري وروى له الباقون.

معاوية بن قرة: هو أبو إياس معاوية بن قرة بن اياس بن هلال المزني من فقهاء التابعين ودهاة أهل البصرة، قال أبو حاتم هو ثقة، ولد يوم الجمل ومات سنة 113هـ، وروى له الجماعة.

معقل بن يسار: أبو علي، معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حراق بن أبي بن كعب بن عبد ثور المزني، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان. نزل البصرة وبنى لها دارا وإليه ينسب نهر معقل إلى اليوم ومات بها في خلافة معاوية سنة 87هـ، روي له عن رسول الله (ﷺ) 34 حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم يبين فيه النبي (ﷺ) المخرج لأهل التقى أيام كثرة القتل، والفتن واختلاط أمور الناس، هذا المخرج هو العبادة بمفهومها الشامل، وسبب فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولايتفرغ لها الأفراد.

مفردات الحديث:

"الهرج":قال في النهاية: أصله الكثرة في الشيء والاتساع ، وفسره النووي باختلاط الأمور، وكثرة الفتن، ونحوها من الإرجافات، وجاء في الحديث أنه كثرة القتل.

"كهجرة إلي": لها مثل ثواب من هاجر إلى مدينة النبي (ﷺ) حين كانت الهجرة إليها واجبة.

المعنى العام:

إن الناظر في مجريات الأحداث، والمطلع على وقائع الأمور، والمتابع لما يدور على الأرض اليوم، يجد أن الأمر جلل، والخطب جسيم، وقد يؤدي إلى واقع اليم، فالعدو قد كشر عن أنيابه، وأظهر ما كان يخفيه من أحقاده، والفتن ظاهرها وباطنها قد هجمت علينا أينما توجهنا، واستحدثت أسماء للمعاصي، فأصبح الناس يعلنون بالمعاصي بشكل لم يسبق له مثيل. فالعري أصبح تحررا، والفجور أصبح فنا زورا وبهتانا، والانسلاخ من الدين، وسب مقدساته، أصبح حداثة وتحررا.. وقد يتساءل المؤمن في ظل هذه الظروف الصعبة، والمواقف الحرجة، ماذا يفعل؟ وماذا يصنع؟ وهل بمقدوره أن يدفع البلاء، أم أن الأمر لا يعنيه لا من قريب ولا من بعيد، أو يكون دوره هو التفرج على مسرح الأحداث، دون أن يكون له أي أثر فاعل، أو أن يحيل الأمر إلى غيره، وينسب التقصير إلى من حوله، ويقول: الناس فعلوا، والناس تركوا، ويخرج هو كالشعرة من العجين، كل هذه التساؤلات وغيرها يجيبنا عنها، من يتأمل نصوص القرآن والسنة، فإنها تذكر الدور المطلوب، والعمل المرغوب، الذي يجب فعله على كل مسلم ومسلمة، ليسلموا من العذاب، ويندفع عنهم غضب الملك الوهاب، والحديث الذي بين أيدينا يرسم لنا معالم على الطريق، ووسائل إن نحن أخذنا بها كان الأجر عظيما، والثواب جزيلا، إذ ليس هناك عمل أعظم بعد الإيمان بالله تعالى من الهجرة إلى رسول الله في وقتها، وإذا علمنا أن الهجرة هجرتان، ظاهرة وهي المشارة إليها في الحديث، ومعنوية وهي الهجرة إلى كتاب الله وسنة رسول الله وهي باقية إلى يوم القيامة، وهي التي يشير إليها الحديث، وفيما يلي، أخي القارئ، أختي القارئة، سأحاول أن أحدد أهم معالم هذه العبادة المطلوبة حتى تكون كما يحب الله ورسوله وتحقق الهدف المنشود.

وهذه المعالم أو الوسائل التي سأذكر هي في حقيقة الأمر في متناول كل مسلم ومسلمة، فتعالوا نبادر إلى القيام بها، وإلى عملها، وإني لأخشى من عقوبة التسويف والتهاون، والتساهل والتهوين... فاللهم وفقنا إلى تحقيقها فتنصرنا وتنصرينا...

الوسيلة الأولى: تحقيق الإيمان: لقد وعد الله تعالى عباده المؤمنين بالنجاة من العذاب، فقال سبحانه: "ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين" (سورةيونس/الآية:103) ولقد تكفل الله تعالى بالدفاع عن المؤمنين فقال سبحانه: (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) فلماذا يتأخر أقوام عن الإيمان بالله حق الإيمان، والله جل جلاله وعدهم إن آمنوا حق الإيمان أن يدافع عنهم، فمن يغالب قوما يدافع عنهم القوي القهار العزيز الجبار، وأي قوة في الأرض توازي قوة القهار، ومايعلم جنود ربك إلا هو، يقول الله تعالى : "إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا" هذا كلام الله، ووعد الله، فهل من عابد مجيب؟

الوسيلة الثانية: التوبة والرجوع إلى الله تعالى : يقول بعض السلف: مانزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة، يقول الله تعالى : (وقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)سورة يونس/الآية:98، يقول قتادة رحمه الله في هذه الآية: لم يكن هذا في الأمم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حصرها العذاب فتركت إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وألهوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم فهل من توبة صادقة، ورجعة إلى الكريم الوهاب الرحيم التواب، ليدفع عنا العذاب، ونسلم من غضب رب الأرباب، فيتوب أصحاب الذنوب والتقصير وكلنا مقصر...

فالكل يجب أن يتوب إلى ربه، ويعود إلى رشده، ويكثر من الاستغفار، كما كان النبي (ﷺ) يفعل فقد كان يستغفر الله تعالى في المجلس الواحد مائة مرة، ولأن الاستغفار سبب عظيم في تحصيل الخيرات، ودفع المصائب وتفريج الكربات، يقول الله تعالى: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون" ويقول الله تعالى: (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى)سورة هود/الآية:3.

الوسيلة الثالثة: كثرة الأعمال الصالحة. ونقصد بالعمل الصالح كل عمل تتحقق به مصلحة معتبرة في الدين أو الدنيا، والعمل الصالح شرط لازم للفوز برضى الرحمن، وتجنب الخسران، يقول الله تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)سورة العصر/الآيات: 3.2.1.

فالصلاة والصيام والزكاة والحج والإحسان إلى الوالدين، وإكرام الضيف والجار أعمال صالحة، وإقامة العدل بين الناس، وتعبيد الطرقات وتشييد المصانع، والدفاع عن حقوق المستضعفين... أعمال صالحة، وأعود فأقول إن العمل الصالح هو كل عمل يحقق المقصد العام للإسلام: درء المفسدة وجلب المصلحة.

الوسيلة الرابعة: الإكثار من الصدقة لقول النبي (ﷺ): "إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء" رواه الترمذي،وقال (ص): "أكثروا الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا" رواه ابن ماجه وغيره، فالصدقة سبب الرزق والنصر والجبر، وهذا ما تحتاج إليه الأمة اليوم... ولكن أكثر الناس عن الأمر العظيم غافلون.

فلا تتردد في البذل والعطاء، خاصة لإخوانك المستضعفين، الذين يواجهون أمم الكفر، ويصدون ظلمها وجبروتها، فالوقوف معهم من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، لأنه بدعمنا لهم يكفون عنها وعن الأمة شرورا كثيرة، فانفق ينفق الله عليك، ومانقص مال من صدقة، ولاتنس رحمك الله أقاربك وجيرانك، لاتنس ذلك المسكين الذي أذلته الحاجة، وتلك الأرملة التي ينهش لحمها الذئاب وما أكثرهم... وإني لأظنك لبيبا، واللبيب بالإشارة يفهم.

الوسيلة الخامسة: الدعاء، لقد نجى الله تعالى أقواما بسبب دعاءهم، فلولا الدعاء لهلك أقوام، يقول الله تعالى :(قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم) سورة الفرقان/الآية:77 أي لولا دعاؤكم إياه، أيها المخاطبون له وحده عند الشدائد والكروب لهلكتم، فالله تعالى يستجيب لمن دعاه مخلصا ولو كان كافرا كما قال تعالى : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) سورة العنكبوت/الآية:65 والله تعالى يبتلي عباده حتى يرجعوا إليه ويدعوه سبحانه (وما أرسلنا من قبلك في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون) سورة الأعراف/الآية:94 ويقول الله تعالى : (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون).

ولنا في رسول الله إسوة حسنة، في وقت اشتد فيه الأمر، ففي غزوة بدر لم يقل أنا رسول الله ، وأنا منصور، كلا ، بل قال ليلته تلك رافعا يديه، يدعو ربه ويناجيه، ويقول :اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض، اللهم انجز لي ما وعدتني، حتى سقط رداءه من على كتفيه، فأخذه أبو بكر الصديق، وقال يارسول الله بأبي أنت وأمي، كفاك مناشدتك ربك فإن الله منجز لك وما وعدك.

وكان النبي (ﷺ) يدعو في وقت الكرب بهذا الدعاء: "لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم" رواه البيهقي.

الوسيلة السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لقوله تعالى : "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون" ولم يقل صالحون، فهم يدعون الناس إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم سلامة القرى، من الهلاك والردى، ويقول (ﷺ): "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده" صحيح، والقيام بهذه الشعيرة والإتيان بها سبب للسلامة من العقوبات، ولقد بين ذلك كتاب الله عز وجل في قصة أصحاب السبت (سورة الأعراف/الآية:166.163، حيث انقسم الناس عند ارتكاب المنكر إلى ثلاث أقسام، فلما نزل العذاب أهلك الله الفاعلين والساكتين، ونجى القسم الثالث من المسخ إلى القردة والخنازير، وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. فالواجب علينا أن نعزز هذا الواجب، وأن نساند من قام به، ونؤيده معنويا وحسيا.

الوسيلة السابعة: اجتناب الظلم: وهو التعدي على الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم بغير حق، يقول الله تعالى: "وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا" سورة الكهف/الآية:59، وروى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" قال ثم قرأ: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد"سورة هود/الآية:102 فلا يتجرئ العبد على ظلم كيفما كان وفي حق من كان.

الوسيلة الثامنة: الالتفاف حول العلماء الربانيين، والأئمة المهديين، الأتقياء الصالحين، فإن الالتفاف حولهم يعد سبيلا مهما من سبل الوقاية والنجاة من الفتن على مختلف أنواعها وأشكالها، كما يعين على الأمن من الزيغ والضلال، فكم أنجى الله بالعلماء، الأمة الإسلامية، من محن عصيبة، وفتن رهيبة، كإعزاز الله لدينه بالصديق (ﷺ)، يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة، فكم ثبت الله المسلمين في تلك الفتن بعلمائهم، فلابد إذا من لزومهم، والعيش في أكنافهم، والالتفاف حولهم لاسيما وقت الفتن.

ثم أوصى العلماء بأن يتقوا الله تعالى في أمتهم، وأن يقولوا كلمة الحق ظاهرة بلا خفاء، بينة بلا غموض، فالوضوح وتخصيص الدلالات هو ضمانة ضد الفتن أكيدة، أما الكلمات الفضفاضة، والعبارات العائمة فإنها لاتزيد النار إلا اضطراما.

الوسيلة التاسعة: السير في ركب جماعة المسلمين وإمامهم: عن حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله (ﷺ) عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يارسول الله : إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟قال: نعم، قلت وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن (أي فيه كدر)قلت وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتذكر، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت يارسول الله صفهم لنا قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت فما تأمرني أن أدركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"رواه البخاري وغيره.

الوسيلة العاشرة: الاهتمام بالعلم الشرعي خاصة في وقت الفتن: لأن كثيرا من الناس أيام الفتن يخوضون بغيرعلم، فيؤدي خوضهم إلى أنواع من البلاء، والتفرق والتصرفات الطائشة، ومما يلاحظ:

. انتشار القصص والروايات الواهية الضعيفة وقت الفتنة، فيكثر القصاص الذين يوردون الحكايات والقصص التي لاأصل لها، وتكثر الإشاعات، خاصة ونحن نعيش عصر التضليل الإعلامي حيث عدد من وسائل الإعلام تختص في هذا الأمر، فيأخذ الناس هذه الأخبار ويحملونها محمل الجد، فتنتشر الإشاعات والأكاذيب والأغاليط بين الناس...(وهذا الموضوع تناولناه في حديث سابق).

وأخيرا، إن الله لايغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم، فإذا غيرنا ما بأنفسنا، من المعاصي والذنوب، وانتقلنا إلى فعل الطاعات، والمسابقات إلى الخيرات، غير الله علينا، ماكان فينا من الشقاء، إلى الخير والهناء، ومن الذل والهزيمة إلى العزة والنصر والتمكين، وما ذلك على الله بعزيز.

هذه دعوة صادقة أوجهها إلى كل من يهمه الأمر، إلى كل من قلبه يتحرق، ودموعه تندرف، حسرة واشفاقا لحال هذه الأمة التي أرادها الله خير أمة أخرجت للناس، إليكم أوجه هذه الكلمة، لنبادر جميعا إلى تطبيق ماسلف ذكره، فنكون فعلا بشائر النصر، وطلائع العزة.

وهذا . كما فهمت والله أعلم. مفهوم شامل للعبادة المقصودة في أيام الفتن والشدائد، لنفوز بثواب الهجرة إلى الحبيب المصطفى، من كان في كنفه وحزبه كان من الفائزين في الدنيا والآخرة.

فوائد الحديث:

×الحث على العبادة والإقبال على الله تعالى أيام الفتن واضطراب الأمور لأن الناس يغفلون في هذه الأحوال عنها إلا القليل.

×الحث على التزام السنة والتمسك بشرع الله عز وجل تحصنا من الفتن، وحفظا من الفساد.

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

الكرامة الآدمية في الميزان

■ إعداد الأستاذ: أحمد بودهان

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، الذي كرم بني آدم وفضلهم على جميع المخلوقين، وحملهم أمانة التكاليف الشرعية في هذا الدين، وجعل سبحانه لهذا التكريم عدة مظاهر، جعل الإنسان فيها أفضل مخلوقاته أجمعين...

نحمده سبحانه وتعالى ونستغفره ونتوب إليه، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لاشريك له، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله (ﷺ).

وبعد، يقول تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"سورة الإسراء/الآية:70.

عباد الله:

انطلاقا من آية التكريم هاته، تحدث العلماء كثيرا عن معنى التكريم، في المبنى والمعنى، فقالوا باختصار: إن التكريم والكرامة والمكارمة والإكرام في اللغة عموما، يعني التشريف والتعظيم والتبجيل والتفضيل والتخصيص والتمييز، وكلها يؤدي شيئا من هذه المعاني، حتى قيل: كرم الله وجهه، أي شرفه وعظمه... سواء كان هذا التكريم والتشريف حسيا، ماديا، أو معنويا أدبيا في حق من يستحق ذلك بالنسبة للمكرم فتحا من طرف المكرم كسرا.

وعندما يرتبط هذا التكريم ببني آدم من لدن المكرم كسرا وهو الله، يقال فيه: "الكرامة الآدمية" وتجمع على كرامات، ومعناها عند المفسرين، هي كل ما يكرم الله به بني آدم حين فضلهم على جميع مخلوقاته وقالوا: هي على نوعين: كرامة عامة، أو تكريم عام، يتعلق ببني آدم عموما، بقطع النظر عن الفوارق العقيدية الإيمانية كالتكريم المتعلق بالخلق في أحسن صورة، والعقل والبيان وتسخير الكون... وكرامة خاصة تتعلق بعباده المومنين الذي أنعم عليهم بنعمة الهداية..الخ: والحديث في هذا طويل، والذي يهمنا هنا "الكرامة الآدمية" العامة بغض النظر على الفوارق الإيمانية، وذلك على أساس أنه تعالى خاطب بني آدم منذ الأزل بالعقيدة الإيمانية في أصلاب آبائهم قبل وجودهم فقال سبحانه: "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ...إلى المبطلون)سورة الأعراف/الآية:173.

ترى: ما معنى هذه الكرامة الآدمية من الله لبني آدم؟ ولماذا كان هذا التكريم وهذا التفضيل؟ وما هي مظاهر هذا التكريم وهذا التشريف الإلهي لبني آدم كعدالة سماوية وقوانين ربانية؟ وهل القوانين الوضعية احترمت هذا التكريم الإلهي للإنسان؟ وهل راعى واضعو تلك القوانين ذلك؟ وهل جاءت قوانينهم فوقهم ملزمة للجميع؟ أم العكس؟

فلنبدأ بمظاهر تكريم الله لبني آدم، ثم نحاول الإجابة على تلك التساؤلات المطروحة انطلاقا من الواقع المزري الذي تعيشه الإنسانية منذ فجر التاريخ إلى أن وصل هذا الواقع المزري أوجه حاليا بأرض العراق...

عباد الله...

إذا كانت الكرامة الآدمية تعني ذلك التفضيل وذلك التشريف، وذلك التمييز الذي خص الله بني آدم حين فضله على جميع مخلوقاته، فإن مظاهر هذا التكريم تتجلى في أمور كثيرة، منها مايلي:

1. إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، تبعا لصورة أبيه آدم وأمه حواء فقال تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم..." سورة التين، وقال سبحانه: "يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك"سورة الانفطار/الآية:7.

ويقول رسول الله (ﷺ): "خلق الله آدم على صورته..."

. رواه البخاري. وهذا خلاف النظرية الداروينية المعروفة.

2. إن الله تعالى اختاره للاستخلاف في الأرض ليعمرها أمنا وعدلا وعمرانا وإنتاجا وازدهارا مصداقا للآية: "...إني جاعل في الأرض خليفة..."سورة البقرة/الآية:30.

3. إن الله تعالى فضل هذا الإنسان وميزه بالعقل والنطق والفصاحة والعلم والبيان فقال سبحانه: "الرحمان علم القرآن، خلق الانسان علمه البيان"سورة الرحمان.

4. إن الله تعالى فضل آدم حتى على الملائكة حيث أسجد له ملائكته المقربين فأطاعوا وسجدوا له سجود طاعة وخضوع لاسجود عبادة فقال سبحانه وتعالى : "... وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين"سورة البقرة/الآية:34.

5. ومن مظاهر هذا التكريم الإلهي لبني آدم أنه اختاره وألهمه أن يتحمل أمانة التكاليف الشرعية وأمانة العقيدة الإيمانية بالله حتى قال العلماء....

"إن الحكمة البالغة من خلق الإنسان هي أن يعترف بوجوده تعالى فيعبده حق عبادته، لذا نجد أن الله تعالى عرض أمانة التكاليف الشرعية على كل مخلوقاته فأبت فحملها الانسان، مصداقا لقوله سبحانه: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبينا أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا"سورة الأحزاب/الآية:72.

6. ومن مظاهر تكريم الله لبني آدم أنه تعالى ضمن لهم حق الحياة في الدنيا وجعل سبحانه النفس عزيزة لديه، ونهى عن قتلها إلا بالحق، فقال تعالى: "ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق"سورة الأنعام/الآية:151.

وقال سبحانه: "... ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل" سورة الاسراء/الآية:33.

وقال تعالى : "... أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا" سورة المائدة/الآية:32.

كما أنه سبحانه أنزل من السماء أحكام القصاص والحدود حماية للنفوس والأعراض والأموال والحقوق والواجبات ثم سخر الله لهذا الانسان كل خيرات الأرض بعد أن أصبحت صالحة للحياة مصداقا للآية: "وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه...(29 لقمان،13فاطر،5الزمر).

ثم ناداه الله في القرآن أكثر من مرة نداء تكريم وتشريف أحيانا، ونداء تنبيه وتحذير أحيانا أخرى لقوله سبحانه "يابني آدم مرات ومرات".

"يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا..."سورة الأعراف/الآية:26.

"يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد "كما ناداه بالإنسان أكثر من 70 مرة في القرآن. "يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم..."سورة الانفطار/الآية:7.

وقوله تعالى: "يحسب الانسان أن يترك سدى"سورة القيامة/الآية:36، كما أنه تعالى خلق هذا الانسان من أصل واحد، ونسل واحد وجعل كل أفراده سواسية كأسنان المشط، لا فرق بين هذا وذاك إلا بالتقوى والعمل الصالح وهذه المساواة تشمل كل مجالات الحقوق المدنية منها والطبيعية، والسياسية والاجتماعية والمالية والاقتصادية...الخ.

وبالاضافة إلى كل هذه المظاهر التكريمية والحقوق الحياتية في الدنيا فإنه تعالى كرم هذا الإنسان حتى بعد موته أثناء تجهيزه للقاء ربه، حيث يجد رحمته وثوابه وغفرانه له بقبول توبة عبده التي هي باب واسع من أبواب رحمته تعالى لبني آدم...

عباد الله:

هذا قليل من كثير من مظاهر التكريم الله لبني آدام، في القوانين الإلهية السماوية العادلة الضامنة له حياته كاملة في الدنيا...

والسؤال المطروح هو:

هل روعيت هذه المظاهر االتكريمية الإلهية للإنسان في القوانين الوضعية التي قننها ويقننها واضعوها؟ هل احترمت وطبقت؟ هل كثرة الحديث عن حقوق الانسان دليل على تطبيقها أم العكس؟ سنرى الاجابة بعد قليل عن هذه الطروحات...

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

عباد الله: كثر الحديث مؤخرا عن حقوق الإنسان وحريات الشعوب وعن الديموقراطية، وذلك بشكل مكثف، وملفت للنظر... ومن المتناقضات أنه بقدر ما يلاحظ انتهاك هذه الحقوق، مما يدل على أن واضعي هذه الحقوق ومقنينيها إنما يضعونها لخدمة أغراضهم وحماية مصالحهم على حساب انتهاك حقوق الآخرين...

عباد الله

إن هذه القوانين الوضعية لم تستطع حماية تلك الكرامة الآدمية التي منحتها العدالة السماوية لبني آدم منذ أن خلق الله هذا الإنسان في أحسن صورة وفضله وكرمه وميزه على كل مخلوقات أخرى، وضمن له الحياة في هذه الأرض واستخلفه فيها...

ذلك، ان الحروب العدوانية الإجرامية التي يذهب ضحيتها الأبرياء منذ الحروب الصليبية إلى الحروب العالمية إلى الحروب الاستعمارية، والحروب الإجرامية والإرهابية في فلسطين ثم العراق حاليا لخير دليل على أن الكرامة الآدمية في خطر، وإن هذه الكرامة الآدمية في الميزان، وان القوانين الوضعية عاجزة تماما عن حماية هذه الكرامة الآدمية، بسبب تغليب منطق القوة من طرف واضعي هذه القوانين، على منطق السلام والسلم والإنسانية، وأكبر دليل على انتهاك الكرامة الآدمية التي كرم الله بها بني الإنسان مايجري في العراق من حرب إجرامية إرهابية عدوانية خارجة عن الشرعية الدولية، وضاربة عرض الحائط تلك القوانين الوضعية أمام مرأى العالم أجمع، وضد رغبات الشعوب...

عباد الله:

إن الشعوب المحبة للسلام في أرجاء العالم، تقف اليوم ضد هذه الحروب العدوانية، وتندد بإجرامها وبشاعتها وفظاعتها، وإن المغرب ملكا وحكومة وشعبا، وبكل فعالياته السياسية والنقابية والحقوقية ليقف موقف رجل واحد للتعبير عن استيائه ضد هذه الحروب انطلاقا من خطاب جلالة الملك في الموضوع إلى وسائل الإعلام المغربية المنددة بهذه الحروب، إلى تلك المسيرة التضامنية الفريدة من نوعها التي نظمت بالرباط مؤخرا لمساندة الشعب العراقي في محنته بكل وسائل المساندة الفعلية ماديا وإنسانيا وتضامنيا وسياسيا واجتماعيا، وعاطفيا مصداقا للحديث: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان"البخاري ومسلم.

عباد الله

إن هيئة الامم تتحمل مسؤولية تاريخية كبرى أمام مايجري في العراق، لذا يجب أن تتحرك، وإلاسيتفاحش الوضع ويتأزم أكثر، وقد يجر إلى كارثة عالمية لاقدر الله، فيصبح الأمر من أشراط الساعة في صراعنا مع الصهيونية العالمية التي تقودها اسرائيل وتصبح منطقة الشرق عامة والخليج خاصة قرن الشيطان ومنبعا للفتن كما أخبر سيد الأنام، وكما جاء في حديثه (ﷺ) :لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه..."رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

فأين هي تلك الكرامة الآمدية التي كرم الله بها الإنسان حيا وميتا كما ذكرنا؟وأين هي قيمة هذا الإنسان الذي فضله الله واستخلفه في هذه الأرض؟ وأين هي حقوقه تلك وهو يحترق بشظايا القنابل المحرقة رجالا وأطفالا ونساء في عقر داره بأرض العراق الشقيق؟ اللهم إن هذا منكر، اللهم إننا لا نسألك رد القضاء، ولكننا نسألك اللطف فيه...(الختام بالدعاء).

المولد النبوي الشريف

■ إعداد الأستاذ: بلحاج عبد الحميد

■ ففي مطلع اثنتي عشرة ربيع الأول من كل عام، يستبشر المسلمون في كل بقع من الأرض عودة ميلاد رسول الله (ﷺ) والتي تعد بداية حركة إسلامية، تعود معها فتح أبواب المساجد، للاحتفال بهذه الذكرى العطرة، إحياء لعيد المولد النبوي الذي تحييه الأمة الإسلامية في أنحاء المعمورة، وتستقبله بفرح شديد، حتى إنهم لم يتمالكوا من التصفيق، تعبيرا عن سرورهم، بهذه الذكرى العظيمة الخالدة، التي تعيد الروح للحياة الدينية، وتضخ دماء الحيوية في مساجدنا المنتشرة عبر الدنيا، كما تعيد لها مجدها التاريخي العظيم، وبهذه الذكرى الغراء، استعرض لمحة تارخية إسلامية من ميلاده، مذكرا السنة التي ولد فيها رسول الله (ﷺ) أجمع رواة التاريخ أن ميلاده (ﷺ) كان عام الفيل، قال بعضهم: ولد بعده بشهر، وقيل بأربعين يوما، وقيل بخمسين يوما، وقيل بخمس وخمسين يوما، وقيل: شهرين وعشرة أيام، وقيل: بعشر سنين، وقيل : بخمس عشرة سنة، وقيل: بعشرين سنة، وهكذا كانت الأراء تختلف في ضبط تاريخ ميلاده (ﷺ).

وقد مر زمن طويل لن يستطيع أحد أن يثبت تاريخ ولادته وتعيينه في زمن محدد، ولن يقدر قادر على إحصاء اليوم سوى مايتعلق بهذه اللمحة التاريخية المشار إليها مع تأويلاتها.

وكانت ولادته يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، والمشهود لاثنتي عشرة منه، وقيل: لثماني، وعليه كما ذكر في "عيون المعارف" إجماع أهل التاريخ كما وقع الاختلاف في مكان ولادته (ﷺ) فقيل: بمكة، وعليه قيل: بالدار التي كانت لمحمد بن يوسف الثقافي، أخي الحجاج، وقيل بالشعب، شعب بني هاشم "وهو المحل الذي يزار الآن" وقيل: بالردم، وقيل: بعسفان".

وهكذا تعود هذه الذكرى الغالية على رأس كل سنة هجرية، تعلن عن ميلاده (ﷺ) تدعو إلى التآخي والتآزر دينيا وسياسيا واجتماعيا، وروحيا من أجل ارساء الإيمان في قلب المؤمن الذي يتطلع إليها بالفخر والاعتزاز، وإلى مستقبل مشرق أفضل، ولايملك كل مومن غيور على دينه إلا أن يفرح بهذه الذكرى التي تجدد الروح للحياة الدينية، وقد تعد منا را يشع نوره على مدى محيط العالم الإسلامي والعربي، وإن عودة هذه الذكرى تجتمع فيها مختلف شرائح الأمة الإسلامية في المساجد ذاكرين الله مهللين، متبصرين في أمور الدين والدنيا يتدارسون حياته (ﷺ) ويستعرضون محبتهم له، كما أقول:

شغفت به حبا، فإن ذكر اسمه
تحدَّر دمع العين، يستأذن الخدَّا
ب (سيرته) عطرت ظل جوانحي
لعل يد الألطاف تستنقذ العبدا
أرطب حلقي بالصلاة على اسمه

فتنقلب الأشواق في مهجتي بردا

في هذا العهد الجديد تنقشع السحب الداكنة التي كانت تحجب وجه الإسلام الحقيقي عن الأجيال الحاضرة، والطالعة، وبدأت دورة الوفاء له تتدفق من جديد في عروق أبناء الأمة الإسلامية، شرقا وغربا، وعاد الإيمان يدب في القلوب في أواخر هذا القرن كما كان في أوائله رمزا للأمة المسلمة.

وفي طليعة هذه العودة لمولد النبي (ﷺ) عودة إرثه الفكري والخلقي إلى الظهور، وخروجه من ظلمات التكتم إلى نور الإشعاع والإصداع، يطبعها الوفاء، من جلة العلماء، والمحققين المخلصين، الأوفياء للحقيقة بريئة من النوازع المغرضة، حفاظا على إرثه بعد رحيله مدة خمس عشرة قرنا في صورة البحث الدقيق عنه، والصبر والمصابرة على إيصال هذه الأمانة إلى ساحل النجاة، وتسليمها للأيدي الأمينة قبل مفارقة العلماء المتقين للحياة. والمدققين للدين.

فبمناسبة عيد ميلاده (ﷺ) فرح المسلمون في أنحاء العالم، واستقبله بفرح شديد تجديدا للعهد الذي لايغيب عن قلوبنا، ولايحيد عن بالنا ومشاعرنا، حاضرنا ومستقبلنا، وقد دبت هذه الذكرى حبها في أعماق نفوسنا، ومخيلاتنا مادامت الحياة قائمة، تحقيقا للغايات والأهداف المرجوة منا في مختلف المجال الديني الذي يعيد الإصلاح والتغيير نحو الأفضل، ذلك انها المجال المناسب لجمع كلمة المسلمين تحت لوائه، وبهذه الذكرى تتظاهر المسلمون بمظهر الاحتفال خلال هذه السنة بالمولد النبوي الشريف من زينات، وحلوى تعتبر من أهم الأحداث الإسلامية الكبرى التي أعطت الدليل واضحا لحب رسول الله (ﷺ) الأعظم.

وكان مولده المبارك صادف الربيع المحمدي المتجدد، وتتفتح أزهاره وتتفتق الأذهان من هذا المولد النبوي البديع، لأنه الذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد...

فيعيش المسلم لحظات تأمل عميقة وتفكير دقيقة تحت ظل شجرة ربيعية أكلها دائم. وظلها وارف (أصلها ثابت، وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها).

ومع كل ربيع محمدي يتجدد أشجار الأشجان، وتتردد أطيب الأطياف و وتتمدد أفواج الأمواج. وتصفوا أفراح الأرواح، لتعطينا في كل ذكرى سعيدة معاني وخواطر وأفراحا مديدة جديدة وكل هذه الذكريات تسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأكل، لأنها تمثل واحة الراحة لكل من أحب هذا النبي النبيل النبيه النزيه، وأحب أهل بيته، وعترته وأقاربه الذين قال الله تعالى لهم "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" فتطهر المجتمع العربي بهذه النبوة الخاتمة، وظهر فيه رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات صدقوا ماعاهدوا الله عليه، لايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ويطيعون الله ورسوله ويحبون أن يتطهروا ويتعاونوا على البر والتقوى.

وهكذا كانت الأجيال تتعاقب على هذه الحفلات بمولده النبوي، فما أكثر ما احتفل المسلمون بهذه الذكرى وما أقل ماانتفع المسلمون بها، ولو أن كل ميلاد الرسول (ﷺ) يستقبل بإحياء شعيرة من شعائر دينه لثبت دينه في الآفاق، ولكن يبدو أننا نكتفي من الحفاوة بالمناسبة بما يتفق أيضا مع شهوات نفوسنا، وخلاص :قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فيفرح المسلمون بما أتاهم الله من فضله إذ منّ عليهم برسالة عظيمة، ونبوة حليمة حكيمة رحيمة " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" لأن كل شيء في هذا الواقع المعاصر يحتاج إلى هذه الرحمة المحمدية، ويشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية، وأن محمدا (ﷺ) إنما أرسل رحمة للعالمين، من آمن به ومن لم يومن به على السواء، فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائعة أو مكرهة، شاعرة أو غير شاعرة، ولاتزال هذه الرحمة، وارفة لمن يريد أن يستظل بها ويستروي فيها نسائم السماء الرخية في هجير الأرض المحرق وخاصة في هذه الأيام وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حسن هذه الرحمة ، ونراها وهي قلقة حائرة شاردة في متاهات المادية وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح والقلوب. وهذا الربيع المحمدي المتجدد يعيد إلى الأذهان، ذكريات وخواطر جمة، وكل ذكرى تأتي أحلى وأجلى من سابقتها، وأعلى وأغلى مما كانت قبلها، وأظهر من سواها، شهية عام، ولذيذ حلوى.

ولو رأينا الزينات التي تستقبل هذا الميلاد لأدركنا مدى حب الناس لهذا الدين، ولو دخلنا إلى البيوت التي على واجهاتها هذه الزينات لعلمنا كيف بعد الناس عن هذا الدين. والحق أن مناسبة ميلاد المصطفى (ﷺ) أضخم حدث في الكون كله، لأن محمدا (ﷺ) جاء بالمنهج للإنسان ليتوجه به هذا الكون كله.

وميلاده (ﷺ) هو الخير للوجود كله، ويجب ألا يظلم الإنسان نفسه ... وكيف يظلم الإنسان نفسه؟ وذلك بأن يتمكن من الخير ولاينفعل به، وأن يدل على النور ولايهتدي إليه.

لذلك يجب أن نخلد ذكرى الميلاد بما يحبه صاحب الميلاد، ونقتبس أخلاقنا من خلق صاحب الميلاد.

والإسلام ليس بحاجة إلى تغليفه بمظاهر تجعل النفس تقبل عليه لأن لبه شهي والشهوة في اللب حقيقة الجواهر النفسية، وشهوة السطح سمة الجواهر المزيفة.

ويجب ألا تنعزل حفاوتنا بمولده (ﷺ) عن منهجه، ولتتجمع أحداث الدين لما يعين على تطبيق منهج الدين، ولا مانع من أن تغلف بشرع تلفت به أنظار الصغار، الذين لم يعرفوا بعض قيمة المناهج لربطهم بحب الذكرى، وندعم كل ذكرى من هذه الذكريات الخالدة بشرع توضحه الأحداث قبل أن يوجد لها العقل الماكر المبرر، وحين يوجد العقل الماكر المبرر يصعب علينا أن نغرس الطباع، ولكن علينا أن نغرسها في العقل الفطري الذي لاتلويه شهرة ولا يلويه غرور حينئذ يكبر الناشئ وفي نفسه الخمرة الدينية حتى وإن عصفت به الأحداث فستجد مردا نهائيا إلى فطرة الإنسان.

وخلاصة مقالتي في ذكرى مولد الهادي البشير: ماذكرت هو بعض الجوانب المشرقة والمضيئة في شخصية الرسول محمد (ﷺ) ولم تعط هذه العجالة أكثر من هذا الاتساع في التفصيل، ولو أردت إلقاء الضوء على كل الجوانب، فسأكون بحاجة إلى كتابة مجلدات ضخمة لأعبر عن هذه الشخصية العظيمة لسيدنا محمد (ﷺ) التي ارتضاه الله سبحانه رسولا ورحمة للعالمين.

وإذا أردت أن أذكر النور الهادي في ذكرى الاحتفال بمولده الكريم، فإنني اقول انه ليس من إنسان في هذا الكون يستحق الاحتفال بذكرى مولده كما يستحق سيد الخلائق والبشر سيدنا محمد (ﷺ).

وإذا أردنا كمسلمين وعرب أن نكون من المشاركين في هذه الذكرى العظيمة مشاركة فعلية يغمرها الإيمان، ويحيا في نفوسنا شعور الحب لرسول الله(ﷺ)، فإن أفضل وسيلة للاحتفال بمولده(ﷺ) أن نتمثل شخصيته الفذة خلقا وأدبا، ورحمة، وأن نكون أهلا لتطبيق ماجاء به، وأمر به وأن يكون أسوتنا الحسنة في كل عمل وقول وأن ننفذ أمر الله سبحانه في الصلاة عليه في كل ساعة وحين وصدق الله تعالى إذ يقول: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة".

تتمة (ص1)

وفي تاريخ الأنبياء نجد مكانة الأم بارزة في التربية والرعاية والعناية والتوجيه، فهذا إسماعيل يعيش مع أمه بعيدا عن أبيه بمكة المكرمة، وهذا موسى يعيش بحليب أمه في قصر فرعون بعدما نجا من الموت برميه في البحر، وسيدنا عيسى يولد بدون أب وتشرف عليه السيدة مريم، وتؤهله للرسالة السماوية كنبي، ويأتي في ختام القائمة سيدنا محمد (ﷺ) الذي مات أبوه عبد الله قبل ميلاده فتسهر السيدة آمنة بنت وهب على العناية به بعد مولده ولو لمدة قصيرة، سبع سنوات، فغيبة الآباء عن هؤلاء الرسل في حضانتهم وطفولتهم لم يؤثر فيهم، وتربوا في ظروف أهلتهم لتحمل الرسالة المكلفين بها وتبليغها للناس.

وفي حديث لأبي هريرة أخرجه مسلم يثبت فيه زيارته (ﷺ) قبر أمه وبكائه بجانبه حتى أبكى من حوله وأخر أصحابه بأنه استأذن ربه في زيارة قبر أمه فأذن له وقال"فزور القبور فإنها تذكر بالموت"

لقد رفع رسول الله (ﷺ) درجة الأمومة فوق كل الدرجات ووضعها في قمة المراتب بل جعل خدمتها والبر بها فوق مرتبة الجهاد، يروى أن الصحابي الجليل معاوية بن جاهمة السلمي (رضي الله عنه) جاء إلى رسول الله (ﷺ) يستأذنه في الخروج للجهاد ابتغاء وجه الله، فسأله رسول الله (ص) أحية أمك، فلما قال نعم أمره أن يرجع إليها فيبرها، وعاد الصحابي يسأل الخروج للمرة الثانية والثالثة فما كان منه (ﷺ) إلا أن قال "ويحك، الزم رجلها، فثم الجنة، وفي رواية فالزمها فإن الجنة تحت قدميها".

هذه جزئيات وصور قليلة من توجيهاته (ﷺ) ووصيته بالام، وبيان مرتبتها في الحياة الاجتماعية وبين الأسرة كلها نثبتها لتكون صورا تضيء حياة الأبناء، ومنهجا ليسير عليه هؤلاء مع أمهاتهم، والحديث في الموضوع طويل ولعل هذه الاشارات كافية في التوجيه والسلام.

تعزية

الحاج أحمد معنينو ينتقل إلى عفو الله

لبى داعي ربه يوم الأحد 11/5/2003 الوطني الغيور الحاج أحمد معنينو عن عمر يناهز 96 عاما.

والراحل من الرعيل الأول في الوطنية والجهاد والتربية والتعليم حيث عرف بمواقفه الإصلاحية واسهاماته الكبيرة في محاربة الاستعمار والدفاع عن الوطن والدين ونشر الثقافة وإقامة المدارس الحرة وإصدار الصحف والمجلات، وقد لاق في سبيل ذلك المحن والأهوال فما زاده ذلك إلا صبرا وإصرارا على السير نحو تحرير البلاد والدفاع عن سيادتها واستقلالها ووحدة ترابها إلى أن وافاه القدر المحتوم.

ورابطة علماء المغرب إذ تتقدم بأحر تعازيها إلى محبيه وأبنائه تبتهل إلى الله تعالى أن يلهمهم الصبر والسلوان ويسكنه فسيح جناته إنه سميع مجيب.

أنشطة الفرع الدار البيضاء بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف لسنة 1424

ينظم فرع رابطة علماء المغرب بالدار البيضاء بتنسيق مع المجلس العلمي الإقليمي بهذه المناسبة تسع ندوات علمية، في بعض المساجد بمختلف عمالات الدار البيضاء، تدور كلها حول هذه الذكرى العظيمة وحول صاحبها النبي الأمين سيدنا محمد (ﷺ) وشمائله ومنهجه في الدعوة والممارسة العملية للحياة الإسلامية، وذلك بين العشاءين، وفق الجدولة التالية:

ر.ت	الموعد	المسجد	العمالة	المتدخلون
01	الأحد 24.03.09: 03.05.11	اليوسفي	المنصور	المهدي السبتي، الحسين وشو، أحمد الحافظي
02	الجمعة 24.03.14: 03.05.16	الأمل 1	الفداء	رضوان ابن شقرون ، الحسين وشو ، أحمد جمال الدين
03	السبت 24.03.15: 03.05.17	التقوى	الحي الحسني	الحسن بناي، محمد بوكالف، عمر محسن
04	الأحد 24.03.16: 03.05.18	الساقية الحمراء	ابن مسيك	أحمد جمال الدين، عبد السلام المتوكل، أحمد الحافظي
05	الجمعة 24.03.21: 03.05.23	التقوى	مولاي رشيد	مصطفى لحيم، عبد العزيز الإدريسي، عبد السلام المتوكل
06	السبت 24.03.22: 03.05.24	محمد السادس	أنفا	عمر محسن، حسن أمين، المختار بصير
07	الأحد 24.03.23: 03.05.25	محمد الخامس	الحي المحمدي	رضوان ابن شقرون، المختار أوعدي، عبد الرحيم الراوي
08	الجمعة 24.03.28: 03.05.30	الجزائر	الوئام	أحمد الشبانات، الحسين وشو، عبد السلام المودن
09	الجمعة 24.03.28: 03.05.30	مالسي	الحمدية	الحسين مفراح، محمد الحبيب احسايني، م.عمر بنحماد

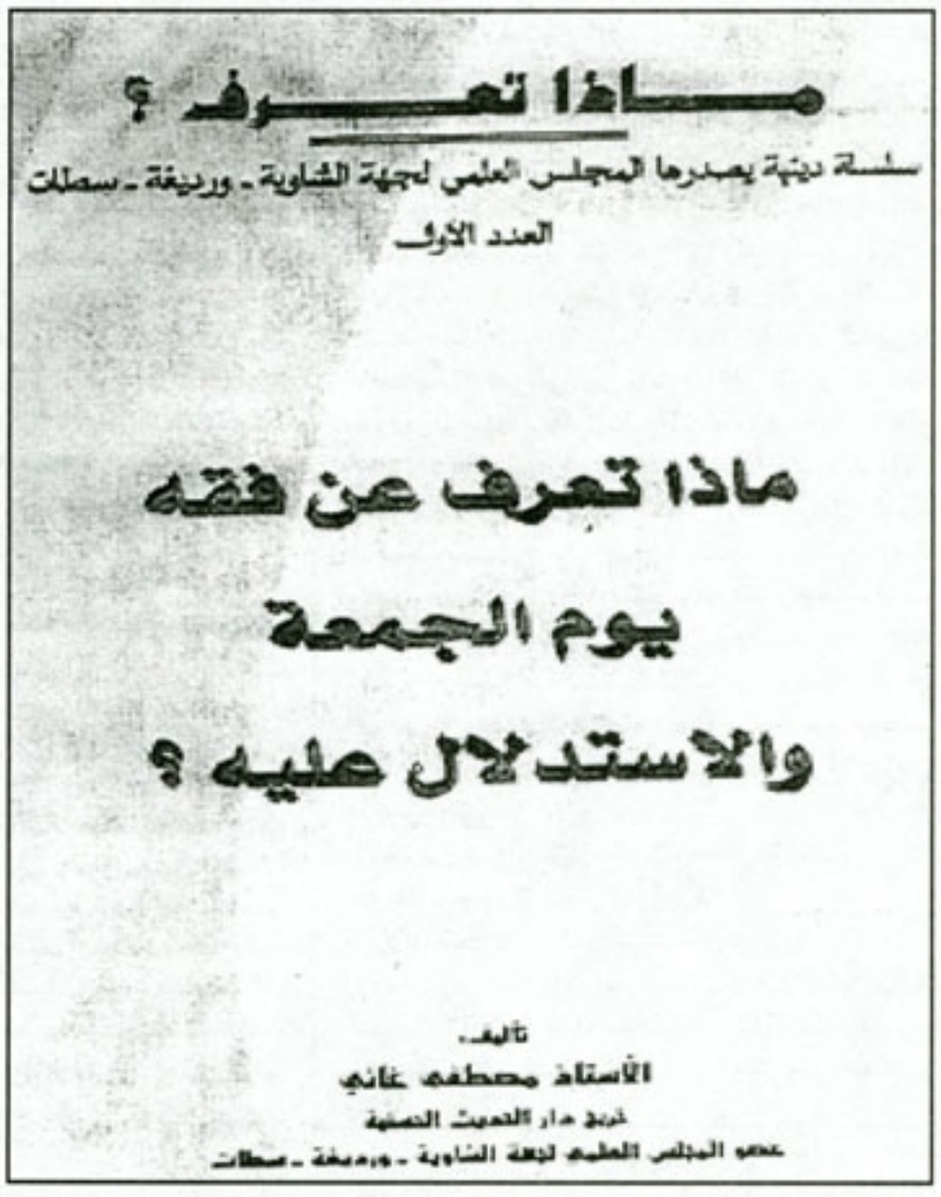

إصدار

أصدر المجلس العلمي لجهة الشاوية . وردیغة سطات سلسلة دينية اختار له اسم " ماذا تعرف " وقد تضمن العدد الأول كتابا تحت عنوان :" ماذا تعرف عن فقه يوم الجمعة والاستدلال عليه" للأستاذ مصطفى غاني : عضو بالمجلس العلمي المذكور أعلاه.

وقد بين الكاتب في الغلاف الثاني الهدف من تأليفه حيث قال:

إن القارئ لهذا الكتاب سيلاحظ أن الشريعة الإسلامية الغراء، لم تدع أمر المسلم لهواه ، بل تتعبت تفاصيل أفعاله ، وحددت لها أحكاما، ويتجلى ذلك في الأحكام التي تضبط حياة المسلم في حركاته وسكناته في يومه وليلته ، وأثناء أعماله التي تتعلق بمعاده.

حاولت في هذا الكتاب أن أستعرض أهم القضايا التي تتصل بفقه الجمعة والتي تناولها فقهاؤنا الأجلاء، ولبعض القضايا التي ظهرت في عصرنا لما عرفه من تطور علمي، ولم يكن قصدي استقصاء فقه الجمعة بقدر ما كان القصد هو توضيح أهم الجوانب التي تعترض المؤمنين والتي يتساءلون عنها باستمرار .

يضم هذا الكتاب مائة سؤال وجواب ، تتعلق بأهم ما يجب أن يعرفه المسلم عن أحكام الجمعة ، التي حث الشارع على السعي إليها، والتي قد يؤدي الجهل بها إلى إبطال هذا العمل الشرعي ، أو الإخلال بمقاصده، وتفويت غاياته.

إن القارئ لهذا الكتاب سيلاحظ ان أجوبته ركزت على روح تشريع لقاء يوم الجمعة ، والذي هو التقاء المسلمين وتوحيد صفهم ونبذهم للخلاف ، وهي الحكمة التشريعية التي نأمل أن يراعيها كل خطيب في خطبته .. فالجهل بحكم هذه الأحكام قد يؤدي أحيانا إلى الخصام والتنافر بين المصلين ، وهو أمر منهي عنه ، ومأمور بنبذه وبالاعتصام بحبل الله المتين ، قال تعالى :(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

إن مسؤلية الخطيب مسؤولية كبيرة ، إذ أنه من خلال خطبته يوجه الجماعة التي يصلي بها، ويبث فيها قيما تتحول إلى سلوكات داخل هذه الجماعة ، وقد تسري في المجتمع كله.

أما متلقي الخطبة فمسؤوليته لا تقل عن مسؤولية الخطيب، إذ أنه محور اهتمام الخطيب والموجه لاختياراته ، لذلك فإن نمو وعيه واتباعه للإرشارات والتقويمات الواردة في الخطب ترفع من مستوى المجتمع وتزيده نضجا ، وتقربه من مكارم الأخلاق الذي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم لإتمامها...

إن صلاة الجمعة محك حقيقي لأخلاق المسلم ولا ستيعابه لمقاصد التشريع وغاياته سواء كان هذا المسلم خطيبا على المنبر أم منصتا لما يلقى من خطب.

أولوا العزم من الرسل

موسى عليه السلام

■ الأستاذة: نبوية الناصري

انضم لموسى وهارون اثنان من القوم. تقول كتب القدماء إنهم خرجوا في ستمائة ألف، لم يجد موسى من بينهم غير رجلين على استعداد للقتال، وراح الرجلان يحاولان إقناع القوم بدخول الأرض والقتال، قالا: إن مجرد دخولهم من الباب سيجعل لهم النصر، ولكن بني إسرائيل جميعا كانوا يتدثرون بالجبن ويرتعشون في أعماقهم، جاء في قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين) سورة البقرة الآية:58.

أدرك موسى أن قومه ما عادوا يصلحون لشيء، مات الفرعون ولكن آثاره في النفوس باقية، عاد موسى على ربه يحدثه أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه، دعا موسى على قومه أن يفرق الله بينه وبينهم، وأصدر الله تعالى حكمه على هذا الجيل بالتيه أربعين عاما.

بدأت أيام التيه، بدأ السير في دائرة مغلقة، تنتهي من حيث تبدأ، وتبدأ من حيث تنتهي، بدأ السير إلى غير مقصد ليلا ونهارا وصباحا ومساء، دخلوا البرية عند سيناء وظل بقاؤهم فيها من عهد خروجهم من مصر إلى أن مات موسى وهارون عليهما السلام.

رغم ما حدث، مكث موسى في قومه يدعوهم إلى الله، ويبدو أن نفوسهم كانت ملتوية، وتبدو لجاجتهم وعنادهم فيما يعرف بقصة البقرة.

حادثة البقرة مع بني إسرائيل:

أصل قصة البقرة أن قتيلا ثريا وجد يوما في بني اسرائيل، واختصم أهله ولم يعرفوا قاتله، وحين أعياهم الأمر لجئوا إلى موسى ليلجأ لربه، ففعل فأمره سبحانه وتعالى أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة، وكان من المفروض هنا أن يذبح القوم أول بقرة تصادفهم، غير أنهم بدأوا مفاوضتهم باللجاجة، واتهموا نبيهم بالسخرية منهم، واستعاذ موسى بالله أن يفعل ذلك، وأفهمهم أن حل القضية يكمن في ذبح بقرة، عادوا إلى مراوغتهم وعذبوا نبيهم إلى أن حددت البقرة بأنها صفراء، وأنه ليست معدة لحرث ولا لسقي، وأخيرا وجدوها عند يتيم.

جاء في سورة البقرة: " وإذ قال موسى لقومه، إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزؤا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين(67) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر، عوان بين ذلك، فافعلوا ما تومرون (68)، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين(69)، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي، إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون(70)، قال إنه يقول إنها بقرة ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث، مسلمة لاشية فيها، قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون(71)".

ونلاحظ هنا سوء أدب القوم مع نبيهم وربهم، ولعل السياق القرآني يورد ذلك عن طريق تكرارهم لكلمة "ربك" التي يخاطبون بها نبيهم موسى، وكان الأولى بهم أن يقولوا لموسى تأدبا: "ادع لنا ربنا"، فكأنهم يقصرون ربوبية الله تعالى على سيدنا موسى وحده ويخرجون أنفسهم من شرع عبادة الله، وتلك صورتهم على مائدة المفاوضات مع نبيهم الكريم سيدنا موسى.

لقاء سيدنا موسى بسيدنا الخضر عليهما السلام: قام موسى خطيبا في بني إسرائيل، يدعوهم إلى الله ويحدثهم عن الحق، بعد أن انتهى من خطابه سأله أحد المستمعين من بني إسرائيل: (هل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله؟)، قال موسى مندفعا: "لا"، وساق الله عتابه لموسى حين لم يرد العلم إليه، فبعث إليه جبريل يسأله: (يا موسى ما يدريك أين يضع الله علمه؟ أدرك موسى أنه تسرع، وعاد جبريل عليه السلام يقول له:(إن لله عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك).

تاقت نفس موسى الكريمة إلى زيادة العلم، وانعقدت نيته على الرحيل لمصاحبة هذا العبد العالم، سأل كيف السبيل إليه.. فأمر أن يرحل، وأن يحمل معه حوتا في مكتل أي في سلة، وفي المكان الذي ترتد فيه الحياة لهذا الحوت ويتسرب في البحر سيجد العبد العالم، انطلق موسى ومعه فتاه وليست لديهما أية علامة على المكان الذي يوجد فيه سوى معجزة ارتداد الحياة للسمكة القابعة في السلة وتسربها إلى البحر.

ومع أن الله تعالى قد خص نبيه الكريم موسى عليه السلام بأمور كثيرة، فهو كليم الله عز وجل، وأحد أولي العزم من الرسل، وصاحب معجزة العصا واليد، وأنزل عليه التوراة دون واسطة، وإنما كلمه تكليما، هذا النبي العظيم، نجده يتحول في القصة إلى طالب علم متواضع، ومن يكون معلمه غير هذا العبد الذي يتجاوز السياق القرآني اسمه، وإن حدثتنا السنة المطهرة أنه هو الخضر عليه السلام، كما حدثتنا أن الفتى إنما هو يوشع بن نون.

سيدنا الخضر عليه السلام:

هو إيليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح عليهما السلام، ولقب بالخضر كما ورد في الحديث الشريف عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز تحته خضراء)، وقال سفيان بن منصور عن مجاهد: (إنما سمي الخضر لأنه أينما صلى اخضر ما حوله، وقد ساح الخضر في أرض الله إلى أن وصل جزر البحر عند مجمع البحرين (بحر فارس والروم)، فأقام فيها يعبد الله وكان رزقه يأتيه من عند ربه رغدا.

ومع منزلة موسى العظيمة إلا أن الخضر كان يرفض صحبة موسى، وذلك لأن الله أتاه علم الغيب، وقد أفهم سيدنا موسى أنه لن يستطيع معه صبرا، ولم يوافق على صحبته إلا بشرط ألا يسأله عن شيء حتى يحدثه هو عنه.

ويظهر عزم موسى عليه السلام على العثور على هذا العبد العالم ولو اضطره الأمر أن يسير أحقابا، قيل إن الحقب عام، وقيل ثمانون عاما، على أية حال فهو تعبير عن التصميم لا عن المدة على وجه التحديد.

قال تعالى في سورة الكهف: "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا (60)، فلما بلغا مجمع بينهما، نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا(61)، فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا(62)، قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا(63)، قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا|(64)، فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما(65)".

قال ابن عباس(ض:) (أوتي الخضر عليه السلام علم الغيب، فأتاه موسى وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر في جزيرة من جزر البحر، وبعد انتهائه من الصلاة قال الخضر: السلام عليك يا موسى بن عمران - فقال موسى أيها العبد الصالح من أين عرفتني؟ قال الخضر: عرفني بك من عرفك بي - يا موسى سل عما تريد - "قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا(66)، قال إنك لن تستطيع معي صبرا(67)"، سورة: الكهف، لأني أعلم علم الباطن، وهو علم علمنيه الله تعالى، وأنت تعمل على الظاهر- "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا(68)، قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا(69)، قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا(70)"، سورة: الكهف.

خرق السفينة قال ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بدون أجر: فلما دخلوا البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فحشاها موسى بثوبه، "قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا(71)، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا(72)، قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا(73)" سورة الكهف.

تأملات وخواطر

■ محمد الخضر الريسوني

من هم المنتهكون لحقوق الانسان؟

بعد عودة الاستعمار من جديد واحتلاله بلدا عربيا إسلاميا بلا مبرر ولاقانون ضدا على الشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة يتعرض المسلمون في كل مكان، والاقليات منهم إلى اتهامهم بالإرهاب ..مع أن الذي حدث ويحدث في العراق وفي فلسطين هو الإرهاب بعينه الذي لم يسبق له مثيل في التاريخ وفي عصر التتار وهولاكو.

إن الهجوم الذي يتعرض له الإسلام اليوم تتعدد أشكاله ومظاهره ، فهو متهم بالرجعية والظلامية من جهة وبالتخلف والجمود من جهة ، وبالإرهاب تارة أخرى ويزعمون بأن الاسلام ظلم المرأة وأعطاها نصف ميراث الرجل مع العلم أن نظام الميراث الاسلامي متكامل تختلف فيه حالة المرأة والرجل، فالمرأة تأخذ نصف الرجل في حالة واحدة، بينما تساويه في حالة أخرى، وتأخذ أكثر منه في حالة ثالثة وترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال في بعض الحالات، كما أن الاسلام من ناحية أخرى يفتح أمامها باب الحصول على نصيب إضافي عن طريق الهبة في حياة المورث، ومن ناحية أخرى يضع الاسلام مسؤولية الانفاق على الأسرة ومنزل الزوجية على الرجل.

ويقولون بأن الاسلام انتشر بالسيف مع ان منهج الدعوة الاسلامية قائم على الحكمة والحوار والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، ودخل الإسلام دولا لم تصل إليها أية جيوش إسلامية مثل اندنيسيا وشرق ووسط إفريقيا ، وذهبوا في زعمهم وافترائهم بأن الاسلام يرفض الديمقراطية وحقوق الانسان وحرية الرأي جاهلين بأن الاسلام سبق كل الأنظمة التي تزعم حرصها على الحرية زورا وبهتانا فأتاح المشاركة السياسية لكل أفراد الأمة وأمر بالشورى في قوله سبحانه : « وشاورهم في الأمر» وعن موقف علماء الإسلام من "الرأي الآخر فتحكمه عدة مبادئ من أهمها : حسن الإصغاء إليه وعدم معاداة صاحبه أو إيذائه بالقول أو بالعمل والرد المقنع عليه بالحجة والبرهان ، ورسخت بين العلماء مقولات حكيمة تعبر عن ذلك مثل" اختلاف الرأي يفسد للود قضية" أو رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب» وربما يجهلون أو يتجاهلون بأن الاسلام في جوهره وعمقه الانساني سبق بنحو أربعة عشر قرنا فكرة حقوق الانسان التي تم إقرارها على نطاق دولي اعتبارا من سنة 1948 في الإعلان العالمي لحقوق الانسان، وهل تم احترام هذا الاعلان بفعلتهم السوداء بشأن الانسان العراقي والفلسطيني؟ فأي احترام إذن لهذا الانسان؟ لقد أعلن الاسلام عن تكريم الانسان بغض النظر عن عرقه أو دينه أو جنسه امتثالا لقول الحق سبحانه: «ولقد كرمنا بني آدم» وقرر حق المساواة بين البشر جميعا دون أية تفرقة بقوله: ياأيها الناس اتقواربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا» وكفل الحرية الدينية .« لا إكراه في الدين» وقالوا بأن الاسلام يدعو إلى التشدد ويجهلون بأن السلام يشجب التطرف والغلو حيث يقول سبحانه :«لاتغلو في دينكم» وهو الذي يصف المسلمين في قرآنه الكريم: « وكذلك جعلناكم أمة وسطا» وما علموا أن تعاليم الاسلام وأحكامه تتميز باليسر والسماحة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» هذه هي التعاليم السمحة تحرم قتل النفس الانسانية وترفض الاعتداء على الآخرين والافساد في الأرض، وكم من نفس قتلت عندما تهاوت على العراق آلاف ... وآلاف من صواريخ توماهوك الحارقة والقنابل العنقودية فبأي حق قتلت هذه النفوس؟

إن الذين يتهمون المسلمين بالإرهاب هم الذين يصدرون الارهاب إلى الشعوب المستضعفة وهم الذين يقتلون ويحرقون شعوبا بكاملها، وما يقومون به اليوم في فلسطين والعراق هو أكبر دليل على عدوانيتهم وحقدهم على المسلمين وانتهاكاتهم لحقوق الانسان.

القراء السبعة

■ إعداد الدكتور محمد المختار ولد اباه

اختيارهم وأصولهم ومفرداتهم

1- كيف تم اختيارالبدور السبعة؟

بعد الحديث عن حديث الأحرف السبعة ، والتذكير ببعض أقوال العلماء فيه نتناول في هذا الباب سبع آخرين، وهم القراء الأئمة الذين اختارهم ابن مجاهد الذي كان أول من سبع القراءات واعتبر غيرها شاذا ، ثم تابعه في هذا الاختيار إمام القراءات في الأندلس أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444) في كتابه "التيسير" وافرد لكل واحد من السبعة راويين.

ومكانة هذين العالمين جعلت الأمة تجمع على قبول اختيارهما الذي ركزه وباركه أبو القاسم بن فيره الشاطبي في رائعته المعروفة بحرز الأماني، والتي يقول فيها:

جزى الله بالخيرات عنا أئمة
لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا
فمنهم بدور سبعة قد توسطت
سماء العلا والعدل زهرا وكملا
لها شهب عنها استنارت فنورت
سواد الدجى حتى تفرق وانجلى
وسوف تراهم واحدا بعد واحد
مع اثنين من أصحابه متمثلا
تخيرهم نقادهم كل بارع
وليس على قرآنه متأكلا

وهكذا اعتبرت الأمة قراءة هؤلاء السبعة مجمعا على تواترها. غير أن هذا التواتر لم يحل دون اعتراض بعض العلماء على تسبيع ابن مجاهد وحصر الرواة عند أبي عمرو الداني ، وهذا الاعتراض ليس انتقادا للأئمة السبعة أو الرواة الثلاثة عشر، وإنما يتركز على ثلاث ملاحظات وهي:

- أولا: حصر عدد الأئمة في سبعة.
- ثانيا : قصر التواتر على قراءاتهم.
- ثالثا : حصر الرواة في اثنين لكل مقرئ.

لقد انتقد هذا الحصر ، لعدة أسباب ، منها:

أ - احتمال الخلط بين القراءات السبع والأحرف السبعة:

قد يتوهم العوام أن قراءات البدور السبعة هي الأحرف السبعة المذكورة في الحديث الآنف الذكر فيقول مكي بن أبي طالب: « إن من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافع وعاصم هى الأحرف السبعة فقد غلط غلطا عظيما، ويلزم من هذا أن من خرج عن قراءتهم ، بما ثبت من الأئمة غيرهم، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآنا ، وهذا غلط عظيم». ويقول أبو شامة: « ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي الأحرف السبعة التي في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم مطلقا،وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل». وهو مالم يرده ابن مجاهد، وأخطأ من نسبه إليه، وقد بالغ صاحبه أبو طاهر بن أبي هاشم في الرد على من عزا له هذا القول ».

ويذكر أبو الفضل الرازي أن الناس ثمنوا القراءات وعشروها وزادوا على السبعة الذين اقتصر عليهم ابن مجاهد لأجل هذه الشبهة.

والأئمة الذين كتبوا في القراءات قبل ابن مجاهد ، لم يتفقوا على سبعة معينين ، وهذا التسبيع لا يستند على دليل أثري فيقول إسماعيل بن إبراهيم القراب في « كتاب الشافي» : « إن التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولاسنة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فصنف كتابا وسماه «السبع» فانتشر ذلك في العامة، وتوهموا أنه لا تجوز الزيادة على ما ذكر في ذلك الكتاب لاشتهار مصنفه». فإن أبا عبيد القاسم بن سلام وصل بأئمة القراءة إلى خمسة وعشرين وكان بعده أحمد بن جبير الكوفي (ت 258) فذكر خمسة : واحدا من كل عصر، مراعاة لعدد المصاحف التي أرسل بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار. واعتمد القاضي إسماعيل البغدادي(ت 282) عشرين إماما . وزاد محمد بن جرير الطبري (ت310) على العشرين.

ومن معاصري ابن مجاهد محمد بن أحمد الداجوني (ت324) الذي أدخل أبا جعفر القعقاع ضمن السبعة ، ذلك لأن السبعة المختارين . وأن كانوا محل إجماع وتوثيق ،. فإن في أئمة القراء من هو مثلهم أو أجل من بعضهم قدرا ، فقد ذكر أبو حاتم عشرين إماما من القراء ، ولم يذكر منهم ابن عامر ولا حمزة ولا الكسائي.

ويقول مكي بن أبي طالب « إن الناس بالبصرة كانوا على قراءة أبي عمرو ويعقوب الحضرمي ، وإن ابن مجاهد أثبت الكسائي وحذف يعقوب».

وهذا ما حمل القراء بعد ابن مجاهد أن يزيدوا ثلاثة اتفقوا على قراءتهم ، وأثبتهم المحقق ابن الجزري في « النشر» وفي « طيبة النشر» ثم أفرد لهم كتاب « تحبير التيسير» ونظمه في «قصيدة الدرة» على بحر الشاطبية ورويها ، ومستعملا لمنهجها في الرموز ، وهؤلاء الثلاثة هم أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، وهو من شيوخ الإمام نافع، وخلف بن هشام البزار، وهو من رواة حمزة بن حبيب الزيات ، ويعقوب بن إسحاق بن عبد الله بن اسحاق الحضرمي ، وهو من أتباع أبي عمرو بن العلاء.

ثم زاد بعض القراء عليهم أربعة آخرين وهم : الحسن بن أبي الحسن البصري، وسليمان بن مهران الأعمش، ومحمد بن عبد الرحمن بن محصين المكي، ويحيى بن المبارك اليزيدي ، وهو من رواة أبي عمرو بن العلاء ، وعنه أخذ الدوري والسوسي.

ب - تواتر السبعة والعشرة:

واتقف جمهور القراء والأصوليين على صحة قراءة الثلاثة ، وقد سبق أن راينا العلاقات المتداخلة بينهم وبين السبعة ، وقد أفتى عبد الوهاب السبكي أن القراءات الثلاث المروية لأبي جعفر ويعقوب وخلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وأن كل حرف انفرد به واحد من العشرة متواتر معلوم من الدين بالضرورة، وأنه منزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكابر في ذلك إلا جاهل.

أما ما عدا العشرة فالأظهر عند الأصوليين شذوذه، وعند القراء عدم تواتره كله، غير أنهم في الأخير اعتمدوا ضوابط معينة لصحة أي قراءة ، سواء أكانت سبعية أم لا. وإنما وصلوا إلى ذلك احتياطا، لا لدفع قراءة صحت عن الأئمة السبعة ولكن للتأكد من الرواية عنهم وتوثيقها.

وممن صاغ هذه الضوابط أحمد بن يوسف الكواشي الموصلي في كتابه «التبصرة» حيث يقول « كل ما صح سنده، واستقام وجهه من العربية، ووافق خط المصحف فهو من الأحرف السبعة، ولو رواه سبعون ألفا مجتمعين أو متفرقين، فعلى هذا الأصل بني قبول القراءات عن سبعة كانوا أو عن سبعة آلاف، ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة» وهذا ما سبق أن أكده مكي في الإبانة.

وهذه الضوابط هي التي حررها المحقق ابن الجزري في « طيبة النشر»

ج - الاقتصار على بعض الرواة:

أما سبب اقتصار أبي عمرو الداني على راويين لكل قارئ فقد بينه في مقدمة « كتاب التيسير» قائلا « إنه أراد ما يقرب تناوله ، ويسهل حفظه ، ويخف درسه مما يتضمن الروايات والطرق المنتشرة والمشتهرة عند التالين ، وصح وثبت عند المتصدرين» معتمدا على الإيجاز والاختصار ، وترك التطويل والتكرار.

فمن عرف سعة علم أبي عمرو الداني في القراءات وبصره بطبقات القراء التي ألف فيها كتابا في أربعة أسفار، و«جامعه» الذي اشتمل على أكثر من خمسمائة رواية وطريق، علم أن اختياره لهؤلاء الرواة ليس اعتباطيا، وليس دليلا على حصر القراءة الصحيحة فيها، وإنما عمد إلى « التيسير والتسهيل والتقريب».

فانتقى أئمة انتهت إليهم رئاسة الإقراء في أمصارهم ، وحملوا بأمانة ومهارة قراءات القراء السبعة ، ونوجز فيما يلي أسانيد هؤلاء الأئمة ورواتهم معتمدين أساسا في ذلك« كتاب التيسير» للداني مع ذكر السند بينه وبينهم، وبالخصوص الأشياخ الذين ذكر أنه قرأ عليهم القرآن كله.

❖ انظر تاريخ القراءات في المشرق والمغرب.

نفحات من نسماته القدسية : محمد رسول الله ، والذين معه ..

■ إعداد الأستاذ: أبو يس عبد الرحمن

الحلقة الخامسة

لقد وصف الله أحد أنبيائه ورسله الكرام .. كلمته وروحه فقال عنه (وجيها في الدنيا والآخرة) وذاك إذ اجتمع جاه الدنيا وجاه الآخرة .. ولم يكن أحد يطمع أن يبلغ مبلغ عيسى عليه الصلاة والسلام ، في تواضعه وزهده إلا إخوانه أولوالعزم من الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

. أما جاه الدنيا وحدها فهو مذموم لأن آفاته كثيرة ولأن ضرره بجاه الآخرة كبير لمن لم يوته الله فضل الزهد الحق في الدنيا وغرورها ومتاعها الزائل.. ورسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، كان المثل الأعلى في الزهد والتواضع .. وكان الكمال البالغ في الجاه والعظمة .. ولقد بلغ من جاهه وعظمته على زهده وتواضعه بل في زهده وتواضعه أن أعداءه كانوا يكذبونه ويؤذون أصحابه فيه بالقول البهتان الباطل الفاجر حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته .. رأته امرة فأرعدت من الفرق (الخوف) فقال يسكن رَوْعَها « يامسكينة عليك بالسكينة»

وقام بين يديه رجل فأردع فقال له« هون عليك فإني لست بملك»(الشفا)

أوتي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، خزائن الأرض ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داناها من الشام والعراق ، وجلبت إليه من أخماسها وجزيرتها وصدقاتها ما لا يحيي الملوك إلا بعضه وهاداه الملوك فما استأثر بشيء من ذلك لنفسه، ولا أمسك منه درهما بل صرفه في مصارفه ومصالح المسلمين وأغنى به غيره وقوى به الإسلام والمسلمين.. وهو القائل « ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينارا إلا دينارا أرصده لدَيْن .

. أتته دنانير مرة فقسمها ، وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذ ه نوم حتى قام وقسمها وقال:" الآن استرحت" ومات عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة في نفقة عياله.

. اقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته إليه وزهد فيما سواه .. لا يباهي بلباس ولازينة، يلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبردَ الغليظ .. يحمد من الثياب النقاء والطهر والتوسط والاعتدال مما لا تسقط به المروءة، ولا يباهي بجودة سكن ولا سعة منزل ولا كثرة آلات ولا فراش ولا متاع ولا خدم ولا مركوبات .

. ومما ربى عليه أصحابه أيضا عليهم رضوان الله والمؤمنين من بعدهم حسن السمت والشهامة وصدق اللسان والسماحة ومجاهدة النفس وأكد أن كل الخلال السيئة يمكن أن يتصف بها المؤمن إلا الكذب والخيانة فقال: « كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب ، فليس للمؤمن إلا أن يستفي قلبه وإن أفتاه الناس وأفتوه.. فإن وجد في نفسه خيانة وكذبا فالله ورسوله بريئان منه.. (الشفا)

ومما رباهم عليه أيضا مقتبسا من القرآن « خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها فقال له: حتى أسأل العالم، ثم ذهب، فأتاه فقال : يا محمد، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك..

. ورباهم بقوله عز وجل« واصبر على ما أصابك»

. ورباهم بقوله عز وجل« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل»

ورباهم بقوله عز وجل«وليعفوا وليصفحوا»

. ورباهم بقوله عز وجل« ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور»

- ورباهم بأنه قد شهدت له عائشة رضي الله عنها : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان أبعد الناس عنه.

. ورباهم بشهادتها أيضا : أنه ما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها.

. رباهم بأنه لما كسرت رباعيته وسبح وجهه يوم أُحُد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال « إني لم أبعث لعّانا ولكني بعثت داعيا ورحمة.، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.»

تأملات في كتاب

معجم مصطلحات المخطوط العربي

■ إعداد الأستاذ: عبد الحق عزابي

لم يتم حتى الآن إجماع حول تحديد نهائي لما يسمى بعلم المخطوط على الرغم من الجهود المبذولة في هذا المجال وقد أدى ذلك إلى تعريفات مختلفة أفرزتها مجموعة من الدراسات والأبحاث المنشورة في مختلف الدوريات الغربية. والسبب في ذلك هو أن هذا العلم مازال في بداياته الأولى ومن المسلم به أن تختلف الآراء وتضطرب المواقف بين ذوي الاختصاص في تحديد مفهومه.

ومن المتخصصين والمهتمين المغاربة في علم المخطوطات الدكتور السيد أحمد شوقي بنبين الحاصل على الشهادة العليا لعلوم المكتبات بباريز بفرنسا سنة 1973 دكتوراه السلك الثالث من جامعة السربون بباريز سنة 1975 حاصل على كتابي التبريز بنفس الجامعة سنة 1977 ودكتوراه الدولة من الجامعة الفرنسية وجميع هاته الشهادات في علم الفهارس والمكتبات وهو أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بالرباط يُدرِّس فيها مصادر التراث والبحث الببليوغرافي وعلم المخطوطات (Codicologie) ويشغل حاليا محافظا للخزانة الحسنية ناهيك عن مؤلفاته ودراساته المتخصصة في علم المكتبات نكتفي بما يلي:

تاريخ المكتبات بالمغرب سنة 1992 بالفرنسية الذي ترجم إلى اللغة العربية من طرف الأستاذ مصطفى طوبي.

دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي سنة 1993 بالعربية.

المخطوط العربي وعلم المخطوطات.

وله مشاركات ومساهمات في الندوات الوطنية والدولية الخاصة بالفهرسة وعلم المخطوطات ومواضيع أخرى.

فمن خلال هذه الترجمة المقتضبة ومن خلال إصداراته نستشف أن اهتمامه بعلم المخطوط بدأ منذ بداية دراسته الجامعية حتى أصبح أستاذا منظرا في هذا العلم الجديد، ولانستغرب إن أقدم علينا حاملا مادة غنية وعملا مضنيا في آن واحد كتابه"معجم مصطلحات المخطوط العربي" (قاموس كوديكولوجي) مع رفيق دربه وصاحبه بالجنب أحد طلبة مدرسته الأستاذ مصطفى الطوبي.

إن الباحثين والدارسين المهتمين بدراسة المخطوطات هم الذين يدركون حقيقة الصعوبات التي واجهت هذين الباحثين في تحمل هذه الأمانة العلمية الشاقة إذ ليس هناك رسائل أو معاجم مختصرة ينطلقان منها على غرار ما صنعه أسلافنا واضعو معاجم الألفاظ والمعاني في العصور الأولى بل اعتمدا على المخطوطات نفسها كمصدر أول ثم مصادر القدماء في الثقافة العربية.

وحتى الندوات التي نظمها الغربيون المتخصصون في كوديكولوجيا مخطوطات الشرق الأوسط لاتشفي غليلا ولايمكن لباحثين مختصين الافادة منها نظرا لبساطة هذه الأبحاث وعدم توفر الاحاطة المطلوبة للاستقراء والاجتهاد والعطاء.

فقبل التعريف ببداية مشرقة ومشرفة تبشر بموسوعة معجمية ومصطلحات المخطوط العربي الذي وضع بين يد المختصين في ميدان المخطوط لا بأس من اعطاء لمحة موجزة عن بداية الاهتمام عند المستشرقين بعلم المخطوطات أو ما يصطلح عليه اليوم في الغرب بالكوديكولوجيا.

وقبل هذا وذاك لا أريد أن أنساق للتعريف بالمعجم قديما لأن تراثنا العربي زاخر بمختلف أنواع المعاجم كغريب القرآن وغريب الحديث ومعاجم الاشتقاق والاصطلاح والمعرب والدخيل. فصناعة الكتابة وحرفة الوراقة وفن النساخة أجاد فيها العرب واتقنوا وكانوا أصحاب الفضل في ذلك ونكتفي بذكر بعضهم كالجاحظ وابن النديم والخوارزمي والسمعاني وابن البواب والرفاعي والألوسي والطوسي والقلقشندي وغيرهم كثير.

أما صدور معجم المخطوط العربي فهو عمل جديد بعلم جديد أتحف به الأستاذان الفاضلان الخزانة المغربية والخزانة العربية والاسلامية. ولولا العالم الموثق الفرنسي الأصل دونيس موزريل (Muzerelle Denis) الذي نشر معجمه على شاكلة القواميس اللغوية واعتبر أول معجم ظهر في التراث الإنساني في هذا المجال سنة 1985 ولولا معجم المستشرق الكندي كادجيك (Adam Gacek) الذي ظهر بعد ست عشرة سنة ونشرته دار بريل (Brill) بليدن بهولاندة لقلنا إنه سابقة في العالم في هذا المجال.

إن الكوديكولوجيا علم يستمد أصوله ومقوماته من أعمال الفيلولوجيين الكلاسيكيين الفرنسيين خصوصا تلكم التي قام بها الرهبان البندكتيون في الكنائس والأديرة كالراهب مونتفوكون (Montfaucon)1741م الذي يعتبر كتابه "مكتبة المكتبات" أو "ببليو غرافيا خزائن الكتب من " أهم مصادر هذا العلم، ويعتبر الفونس دان (Alfonse Dain) الذي ينسب إليه وضع هذا اللفظ (Codicologie) علم المخطوط بأنه دراسة المخطوط كقطعة مادية دون الاهتمام بالخط وهنا تظهر استقلالية الكوديكولوجيا عن الباليوغرافيا التي كانت تعني علم المخطوط بالاضافة إلى علم الخطوط القديمة وهنا تبدأ المسؤولية الجسيمة للكوديكولوجي وكأنه الأركيولوجي الذي يحاول التعامل مع القطعة الأثرية المكتشفة بعد إعادة بنائها وترميمها ليتمكن من دراسة حضارة من الحضارات الغابرة.

ولاننسى تعريف "مازي" العالم البلجيكي لعلم المخطوط قائلا "إن الكوديكولوجيا هي أركيولوجيا الكتب التي تعتبر أغلى وأنفس آثار حضارة معينة".

وللاختصار وللخروج من هذا الغموض لجأ بعض العلماء إلى استعمال عبارة أعم وأشمل تعبر عن كل ماهو مكتو ب بما في ذلك اللفائف واللوحات الطينية وهي الكوديكولوجيا الوسيطية (Codicologie Medievale) بمعناها الواسع الذي يشمل الكوديكس بالاضافة إلى الأوعية القديمة السالفة الذكر، وقد اقترح الفيلولوجي البلجيكي جلبير وي (Gilbert Ouy) عبارة وثائقية المخطوط (Archivistique du Manuscrit) لأن الكوديكولوجي الذي يبحث بحثا ماديا في المخطوطات يكاد يشبه في طريقته ومنهجه في البحث تلكم الطرق التي يستعملها الوثائقي في بحث ودارسة الوثائق.

بهذه النظرة الموجزة عن الكوديكولوجيا يدرك الباحث والدارس مدى صعوبة ومسؤولية علم المخطوطات وبالأحرى وضع "معجم مصطلحات المخطوط العربي" قاموس كوديكولوجي" فصدوره الآن يعتبر سابقة في العالم العربي والاسلامي كما يعتبر لبنة أساسية في تطوير المهنة الأرشيفية العربية والاسلمية ونشر الوعي الوثائقي للمخطوط وتسهيل مامورية الباحثين والدارسين للإفادة مما يقرب من ألفي مدخل وتعريف فهي بداية كما أشرت سابقا لموسوعة علمية متخصصة بترتيب مغربي ألفبائي مع ترجيح التداول على الجذر وهنا يكمن الحس العلمي والتقني المتبع في هذا العمل والتمسك بالضبط الواضح للاصطلاح مع اغفال مقصود للمعروف والمتداول منه والمميز لهذا العمل المعجمي هو التركيز على التعريف بالأثر التاريخي لأمور كانت فيه مجهولة أو مبهمة أو مغلوطة ولكيلا تختلط الأمور على مستعملي المصطلح تم التركيز على المصطلحات ذات القاسم المشترك بين الباليوغرافيا وعلم المخطوط والباحث المتفحص لهذا العلم الجديد يدرك حقيقة الاجتهاد في هذا العمل الشاق الذي تجاوزت فيه مصطلحات المخطوط إلى المصطلحات الخاصة بتقنيات حديثة لاتجدها في القواميس اللغوية المتداولة لان واضع المعاجم لغويون وليسوا كوديكولوجيين.

ولتسهيل مأمورية الباحثين والدارسين وضعت أبواب معجمية كالمعجم التقني المنقول أو المشتق والمعجم التقني الدخيل والمعجم التقني الموزون.

لا أجد أجمل ما أختم به هذه التأملات من فقرة وردت في تقديم كتاب "معجم مصطلحات المخطوط العربي" للعالم الأستاذ السيد أحمد التوفيق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية جاء فيها: وهكذا نفهم من عمل الأستاذين أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي في هذا المعجم أن المخطوط العربي وهو ينجز احتاج إلى مصطلح، بل إن صناعته أثمرت مصطلحا " على قدر رقي هذه الصناعة وتطورها.

بشائر المولد النبوي

■ شعر أحمد البقيدي - وزان

لمن السناء وذا السنى الوضاء ... ولمن زينت أرضنا وسماء
وبمن سمت بشرى الهواتف للسما ... ولمن تضوع مسكها الغبراء
ولمن تداعى قصر كسرى وانطفت ... للفرس نارها، وغيض الماء
لمولد المختار طه نبينا ... تهفو النفوس وتسعد الأحياء
يا خير من ملأ الوجود محبة ... قد أقبرت من دونها البغضاء
يا خير من رضي التسامح شرعة ... والصلح خير، روحه الإيخاء
العدل بين المسلمين نشرته ... فاستمطرت من غيثك الحكماء
والعلم من وحي السما علمته ... فتفيأت في دوحك العلماء
ما كنت ترجو في الحياة متاعها ... فالله باق والحياة هباء
والمرء فان والفضائل ذخره ... والقول من دون الفعال هراء
زهت بمولدك العظيم مدائن ... وتعطرت بربوعنا الأجواء
نستحضر اليوم جلائل سيرة ... قبساتها الإغناء والإثراء
فعلى هدى هدي الحبيب محمد ... الناس في هذي الحياة سواء
بعض لبعض إن تنادوا للعلا ... لا للتخاذل فالخلاف بلاء
هذي شريعة ربنا ونبينا ... وعلى الحبيب صلاتنا وثناء

مكانة التفسير الفقهي بين التفاسير المتنوعة

■ إعداد الدكتور: محمد حمان

■ فعلى الرغم من تعدد وجهات نظر المفسرين واتجاهاتهم المختلفة التي تصب أساسا في مجالات تخصصاتهم العلمية ، فإنهم في مجموعهم يعتنون عناية خاصة وكبيرة بالأبحاث الفقهية ،فحتى إذا صدر المفسر المختص في اللغة والنحو مثلا =حديثه حول النص القرآني الذي يفسره بالأحداث اللغوية والنحوية فإنه يتصدى في نهاية المطاف لبيان ما يستنتج من الآية أو الآيات القرآنية من الأحكام الفقهية.

ونفس الشيء يفعله العالم المختص في البلاغة والبيان والمجاز ، فهو لما يشفي غليله من الحديث عن ميدان اختصاصه ينصرف تلقائيا إلى كشف مافي النص القرآني الذي هو بصدد تفسيره من أحكام فقهية ، سواء تعلق الأمر بمجال العبادات على اختلاف أنواعها ، أو مجال المعاملات بشتى أشكالها وألوانها.

والمفسر المتصوف مثلا هو الآخر يغوص في ميدان تخصصه باحثا ومنقبا عن المعاني القريبة والبعيدة التي يمكن استخلاصها من النص المراد تفسيره والتي تمس ميدان اختصاصه من قريب أو بعيد، وهو يبذل في ذلك جهودا مضنية ، ومع ذلك نجده لا يغفل عن إبراز ما في العبارات القرآنية من الأحكام الفقهية.

وحتى من تعددت اختصاصاتهم العلمية،وبرز تفوقهم في شتى المجالات المعرفية من أمثال الإمام فخر الدين الرازي ، فإنه بعد فراغه من البحث في كل الميادين التي اشتهر بالخوض فيها ينصرف إلى استخلاص الأحكام الفقهية على ضوء ما قدمه من تفسيرات للنص القرآني الذي هو بصدد الحديث عنه.

وعلى أي حال فالمتتبع لما جاء في كل أو جل التفاسير المتداولة بين الباحثين في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، يكتشف من خلال تتبعه لما قاله المفسرون فيها أن الأساس الذي يهدف إليه الجميع هو محاولة الوصول إلى المعاني التي يريدها الله من نصوص الكتاب العزيز ، وهذه المعاني هي ما شرعه الله لعباده المؤمنين ولب التشريع الإسلامي هو الأحكام الفقهية والشرعية التي تتضمنها نصوص القرآن المبين.

والمفسر مهما كان اختصصه المعرفي فإنه يستعين حتما بالعلوم المساعدة على فهم نصوص كتاب الله، وفي طبيعة هذه العلوم علم القراءات القرآنية، وعلم أصول الفقه، ولهذا كانت الحاجة حاسة بالنسبة للباحث عن الأحكام الفقهية إلى هذين العلمين بصفة أساسية ، لأن الاضطلاع على أوجه القراءات المختلفة يوسع دائرة البحث أمام الفقيه الباحث، ويكشف له عن المعاني الكثيرة التي تسعفه في الاستنباط للحكم الشرعي المناسب للنازلة الماثلة أمامه ، ولا سبيل إلى الاستنباط الصحيح بدون معرفة علم الأصول الذي يساعد المتبحرين فيه على استخلاص الأحكام الفقهية من النصوص القرآنية بتطبيق القواعد الأصولية الأساسية التي قعدها المختصون في هذا العلم.

ومن أجل أن تتضح لنا المكانة العظيمة التي يحتلها التفسير الفقهي بين التفاسير المختلفة ننزل إلى الميدان ونبحث في مختلف كتب التفسير التي أنتجها المفسرون القدماء والمحدثون على السواء ، ونجمل ذلك في مبحثين اثنين.

الأول للقدماء والثاني للمحدثين.

القدماء والتفسير الفقهي:

المراد بالقدماء أولئك الذين ساهموا بإنتاجهم التفسيرية في وقت مبكر في الجملة. وهؤلاء يعدون بالعشرات ، ولا علينا في الإنتاجات التفسيرية التي ضاعت وبقيت النقول عنها ماثلة أمامنا، كما أنه لاحرج علينا إذا لم نعد إلى تلك الأعداد الهائلة من التفاسير الكلية أو الجزئية التي مازالت مخطوطة في المكتبات العامة والخاصة، وإنما يكفينا أن نرجع إلى أهم ماهو، مطبوع وموجود في كل مكان لنرى من خلاله كيف اهتم المفسرون القدماء بالفقه وبالآراء الفقهية في تفاسيرهم.

وإبرازا وتوضيحا لكل هذا نجعل تحت مبحثنا هذا ثلاثة مطالب نخصص كل مطلب من المطالب الثلاثة لمفسر قديم، ومادامت قائمة هؤلاء المفسرين طويلة يكون من الضروري اللجوء إلى اختيار ثلاثة منهم ، وعلى أن يكونوا من غير الذين سبق لنا الحديث عنهم ، حتى لا نقع في التكرار من جهة ، وحتى نستفيد فوائد جديدة من جهة أخرى باختيارنا لشخصيات وكتب جديدة ، وهكذا سنخصص المطلب الأول لتفسير ابن كثير ، والمطلب الثاني لتفسير البيضاوي والمطلب الثالث لتفسير النسفي.

(يتبع)

تذوق جمال الحياة سر وجود الانسان وتكليفه

■ إعداد الأستاذ : محمد بشاري

■ ان الحياة صفة قائمة بذات الحي ملابسة لوجوده فهي منة من منن الخالق الكريم على الأحياء كلهم ونعمة عظيمة بالنسبة للانسان بصفة خاصة ، إذ بفضلها صار يبصر ويسمع ويحس ويدرك ويفكر ويريد ويتكلم ويتحرك ويحقق الرغبات ، ويجتنب المكروهات ومتى فارقته هذه الصفة وانعدم وجودها، انعدم منه الإدراك والاحساس والتفكير وكل الطاقات والتصرفات، ويصبح جثة هامدة لافرق بينه وبين الجماد في جميع الحالات.

من هذا نعلم أن الحياة هي سر الوجود هي روحه هي أسمى الصفات في الانسان . وإنه بفضل وجودها يقع الاحساس وينشأ التفكير، وتتحرك الإرادة ويقع الاقدام على البدء في المقدمات من أجل الحصول على الرغبات ثم تأتي النتائج المنجزات، فلولى الحياة في الوجود لما تأثر الانسان بما يرى وبما يسمع . ولما أقبل على العمل والإنتاج ، ولما تلذذ بما يوافق ارادته وتألم بما يخالفها ويشاكسها فالحياة هي مصدر النشاط ومصدر المقاصد ومصدر تحقيق الأهداف والغايات إلا أن النسان لا يجني ثمار حياته في هذا الوجود ، ولا يتذوق حلاوتها التامة إلا إذا مرن نفسه على دقة الملاحظة في الأشياء قصد معرفتها على ما هي عليه،وعلى حسن التذوق بما في هذه الأشياء من الجمال ، وعلى التمييز بين البديلات الصالحة للحياة وغير الصالحة لها، فمتى توفرت لدى الانسان هذه العناصر الثلاثة، وكان يعتمد عليها ويطبقها في حياته ، فإنه يجني ثمار الحياة ويسعد بها سعادة تامة ، ومتى تجرد منها أو أهملها فإنه لا يعيش في سعادة وهناء ورضى ، وإنما يعيش في تعاسة وشقاء وضجر.

لان من كان نظره ضيقا وقصيرا وكان لا يحسن التذوق ، ولا يميز بين البديلات فإنه يرى مصلحته تتناقص مع مصلحة المجتمع ولا تتداخل فيها لذا تراه يفضل مصلحته على مصلحة الوطن والمجتمع ويخون في الوظيفة ولا يقوم بالواجب كما يجب بخلا فالواسع النظر الذي يحسن التذوق ويميز بين البديلات فإنه يرى مصلحته في مصلحة الوطن والمجتمع ومضرته في مضرتهما كذلك، لذا تراه يعمل بصدق وإخلاص وتفان في وظيفته ، إدراكا منه بأن تقدم المجتمع ورقيه تقدم لحياته ورقي لها، وتأخر المجتمع وانحطاطه تأخر وانحطاط لها.

والفضل في ذلك يرجع إلى التربية المنزلية أولا وقبل كل شيء وإلى التربية الخلقية المثالية في مدارس التكوين والتربية والتعليم

ثانيا، وهنا تجدر الإشارة إلى أن العناصر الثلاثة المذكورة ليست فنونا تدرس ولا حكما تنفى وتمارس حتى يمكن للانسان أن يطلبها ويتعلمها ويحصل عليها إنما هي عناصر فطرية من طبع كل انسان ومن سجاياه الذاتية يولدبها وتنمو معه بنموه، ولا دخل له هو في اكتسابها وتوفيرها لنفسه ولكن بإمكانه أن يطورها على يد المربي في المنزل أو في المدرسة بالمر ان والممارسة وباسا ليب بيدغوجية بيدغوجية تربوية حتى يكتسب المهارة والخفة فيها.

إذ بامكانه فيما يخص عنصر الملاحظة أن يطوره بدقة النظرة في الشيء الملاحظ والتركيز فيه، بحيث ينظر إليه بصفة شمولية وبقصد الاستنتاج ثم ينتقل من النظر في الجوانب العامة إلى الجوانب الخاصة ومنها إلى الجزئيات الدقيقة ثم إلى العلائق الرابطة بين الجزئيات والكليات ثم المقارنة فيما بينها ويستمر على ذلك إلى أن يتيسر الأمر في الاستنتاج السريع ويستتب له من وراء التفرس والملاحظة المركزة ومتى تعود الانسان على هذه الطريقة وواظب عليها فإنه يجد نفسه يستنتج نتائج موفقة سواء تعلق الأمر بالحيوان والنبات أو الجماد والإنسان أو المعاني.

وكذلك بالنسبة إلى عنصر التذوق ، فبإمكانه كذلك ان يمرن حواسه ومشاعره على ما يوجد في الأشياء من جمال التناسق والاستواء والاعتدال والصفا والوضوح والزهو والكمال ، ويتعود على ذلك قصد التأثر بالجمال والمتعة النفسية والروحية حتى يتطبع بها وتصبح سجية طبيعية وعادة ميسرة لا تكلف فيها ولا عناء ، ومتى وجه حاسه من حواسه إلى الشيء المحسوس المطلوب التأثر منه يتأثر ويدرك بغيته التي يريدها ويطلبها ويمتنع بجماله ومحاسنه وينتشي بذلك انتشاء بليغا.

من المعلوم أن محاسن المحسوسات تختلف باختلاف الحاسة المدركة للمحسوس ، والتذوق يختلف باختلاف الحاسة المدركة لذالك المحسوس كذلك.

فبالنسبة إلى المرئيات المختلفة فإن الحاسة التي تدركها هي البصر ، و بفضل هذه الحاسة يتذوق الجمال الكامن في المرئيات المختلفة من حيث الاحجام والأشكال والأطوال والكليات والجزئيات والألوان ومن حيث أهميتها في الوجود.

وبالنسبة إلى المسموعات فإن الحاسة التي تدركها حاسة السمع، وبفضل هذه الحاسة يتذوق الجمال الكامن في المسموعات المختلفة وينتشي بأصوات الحيوانات والانسان والطيور والمطر والأمواج أو غيرها... أو غيرها من الكائنات كما ينتشي بإدراك أهميتها في الوجود كذلك.

وبالنسبةإلى المشمومات فإن الحاسة التي تدركها هي حاسة الشم ، وبفضل هذه الحاسة يتذوق الجمال الكامن في المشمومات المختلفة فبفضلها يتذوق الروائح الطيبة التي تنبعث من الأزهار والورود ومن كل مادة من المواد التي تنفصل منها الروائح الزكية ويقصد التعرف عليها والانتشاء بها.

وبالنسبةإلى المطعومات فإن الحاسة التي تدركها هي حاسة اللسان ، وبفضل هذه الحاسة يتذوق الجمال الكامن في المطعومات المختلفة ويقدر قدره ويحرص على الاستفادة منه.

وبالنسبةإلى الملموسات فإن الحاسة التي تدركها وتدرك مافيها من الجمال هي حاسة الغلاف الجلدي المحيط بالبدن كله وبفضل هذا الغلاف يدرك الانسان مافي الملموسات من الجمال ويتذوق حلاوته ويتأثر به تأثرا عميقا.

وهذا كله فيما يخص عنصر التذرق، وأما فيما يرجع إلى عنصر الاختيار بين البديلات والتمييز بين الصالح منها للحياة وغير الصالح منها فإن هذا يتوقف على معرفة ما أباحه الشرع وسمع به وما منعه ولم يسمح به عملا بقوله تعالى: (ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) سورة الإسراء/ الأي: 36. وقوله تعالى:(وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) سورة الأحزاب/ الآية: 36.

ونستنتج من هذا العرض أن تكوين الفرد وإصلاحه يكمن في تحسيسه بما لديه من الامكانيات والعمل على تطوير مداركه وتوسيعها بالتربية والتعليم ، وإن التوجيه إلى حسن التذوق وحسن الاختيار يغير طبيعة الفرد المتمثلة في قصر النظر وضيقه إلى بعد النظر واتساعه ومن سوء التذوق للمحسوسات إلى حسن التذوق لها ومن قبح الاختيار للبديلات إلى حال الاختيار لها.

وبذلك ينسجم مع المجتمع ويندمج فيه ويدرك فيه بان خدمة مصلحة المجتمع خدمة لمصلحته وأن خدمة مصلحته خدمة لمصلحة المجتمع فيستقيم في نفسه ويتحمل مسؤوليته بجدارة وإخلاص وبالله التوفيق.

ميثاق الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1021
السنة 36
الجمعة 21 ربيع الاول 1424 هـ
الموافق 23 ماي 2003 م
المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس
مدير النشر:
إدريس كرم
رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني
التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي
الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348
عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma
الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط
التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.
ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

المقاصد والغايات التي ارتكز عليها سلف الأمة وخلفها من أهل المغرب في اختيار المالكية مذهبا والأشعرية عقيدة

■ إعداد الأستاذ : محمد حسني
عضو المجلس العلمي / سطات

الحلقة الثالثة

ظهور علم التوثيق في المذهب المالكي:

اهتم الفقهاء المالكيون بالتوثيق ، صيانة للمعاملات والأعراض مع استحضار الشهود ، وتوثيق العلاقات بين الناس، مع عدم إغفال الأحكام التشريعية وأعراف الناس وتقاليدهم وعاداتهم، ويحرص العدول على تنظيم العلاقات وربطها بشهود ، وتوثيق المعاملات وتوطيدها وتركيز دعائمها.

يقول الله تعالى في هذا الباب:« إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل» سورة البقرة / الآية: 282. ويقول تعالى:« وأشهدوا ذوي عدل منكم» سورة الطلاق / الآية :2. وتشير السنة النبوية إلى هذه الحالة الموثقة:" اشهدوا ولو على قبضة بقل" ، ويقول ابن عمرو أبو موسى الأشعري:" والكتب واجب إذا باع المرء بدين" وقال ابن عباس من ترك الإشهاد على بيع فهو عاص، فالإشهاد على كل حال مأمور به عملا، كتابا وسنة ورأيا.. وحتى لا تضيع الحقوق ، ويجعل المدعو للشهادة الرافض لها آثما ، ويقول تعالى: « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » سورة البقرة / الآية: 273.

لم يكن الغرب يعرف هذه العقود والالتزام بالحقوق قبل القرن السابع للميلاد ، وسادت هذه القوانين وانتشرت في أوروبا من خلال دخول الإسلام إلى صقلية والأندلس، وفي إطار التداول التجاري الذي ساد بين العرب والمسيحيين والأوروبيين بشكل عام ، حيث وضعوا قانون الالتزامات والعقود الذي تعتبر مقوماته القانونية والتشريعية هو الفقه المالكي والشريعة الإسلامية الغراء .

لقد قال الفقهاء المسلمون وخاصة ما أشار إليه الطبري أن الأمر بالكتب فرض واجب ، وقد أشار إلى ذلك السدي، والشعبي، وعطاء، وأبو سعيد الخدري وغيرهم.

وهذا كما يقول الفقهاء علم شريف يحتاج إليه الناس في ضبط أمورهم الاجتماعية والاقتصادية وأحوالهم الشخصية وغيرها ، ويشترط في الموثق أن يكون عالما باللغة وعلم الفرائض ومعرفة النعوت والشيات ، وأن يكون عالماوذكيا ولبقا، والمعرفة بعلم التوثيق وجودة الخط.

وأقدم كتاب ألف في هذا الفن هو كتاب ابن حبيب صاحب " الواضحة" " ووثاق" ابن العطار.

تأليف المختصرات لتسهيل تناول المذهب المالكي:

يرى كثير من الفقهاء أن الاختصار في الفقه كان له الأثر على صيرورة الفقه ، وعلى تطوره ونموه وازدهاره، واعتبرها آخرون سببا في تخلفه وتدهوره، لأن هذه المطولات شق على الناس حفظها واستقصاؤها ، واستعاضوا عنها بمختصرات مثل:" المدونة " لسحنون 240هـ " والموازية" لمحمد بن الموازي 269هـ ، والواضحة " لعبد الملك بن حبيب 238هـ " والنوادر والزيادات" لأبي زيد القيرواني ، وغيرها من المصنفات التي تشكل أمهات الفقه المالكي، كما اختصر " تهذيب " البرادعي ، ومع هذه الحواشي والشروح ضاع القصد الذي لأجله حدث الاختصار.

تصدى لنقد هذا المنهج الحافظ أبو بكر بن العربي 1148/543، والفقيه المحدث عبد الله الإشبيلي 1185/581، الذي انتقد البرادعي في اختصاره للمدونة ، وكان الكثير من الفقهاء يرون أن ما ألفه بشير وابن الحاجب وابن شاس من مختصرات أفسدوا به الفقه وقلصوا من ثروته، واتساع آفاقه مثل"التهذيب للبرادعي ، و" الكافي" لابن عبد البر"، " والجامع" لابن يونس، وشروح " مختصر" ابن الحاجب، وقد تهافت المغاربة على مختصر خليل ومختصرابن عرفة الذي اعتبروه مرجعا قويا ومؤلفا معتمدا شد عليه المغاربة بقوة فكانوا يعودون إلى هذه المختصرات أكثر مما يقبلون على الأمهات، راجت هذه المختصرات بشكل ملفت للنظر في العصر المريني.

وفي العصر العلوي، دعا السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى العودة إلى كتب المتقدمين المطولة والمستوفية للشروط العلمية والشرعية .. ودعا إلى الاهتمام بكتب بهرام والخرشي ، وأن يقرأ كتاب " المدونة" و" البيان" والتحصيل" و" ومقدمات ابن رشد" والجواهر" لابن شاس " والنوادر والرسالة " لأبي زيد القرواني والحطاب والأجهوري.

فما هي القرائن في المذهب المالكي؟

القرينة هي ما يأتي به الإنسان مماثلا يثبت الحقيقة أو ينفيها ، فإخوة يوسف جاءوا بالقميص ليست به قرينة تبين أن الذئب افترس يوسف ،. فالقميص ليس فيه قرينة تظهر هذا الافتراس.

فالفقه يجب أن يعرف القرائن وتعارضها، يقول تعالى في كتابه العزيز:« يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » سورة البقرة/ الآية:146 . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إذا رأيت الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» سنن الترمذي . وحكم عمر رضي الله عنه والصحابة معه برجم المرأة إذا ظهر بها حمل ولا زوج لها ، وكان مالك يعود إلى القرائن ويعتمدها في الأحكام حتى عدت من قواعده.

الموطأ أو المصنفات في المذهب الماكي

يعتبر الموطأ كتاب فقه وحديث ، يضم بين دفتيه كثيرا من الأحاديث، ذلك أن الإمام مالك ظل يختصره حتى أصبح ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين حديثا ، فما إن ظهر الموطأ حتى أقبل الفقهاء على استيعابه وشرحه، ويشرحون غريبه ، ويضبطون مشكله، ويتحدثون عن رجاله. بدأ التأليف منذ القرن الأول والثاني ومعظمه يتعلق بالحديث. فهم كانوا يتورعون عن التدوين خوفا من أن يختلط القرآن بالسنة، ولما انتشر الخلاف مع الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، ظهر الموطأ الذي صنفه الإمام مالك وسماه كما يقول مالك بعد عرضه على ما يقرب من سبعين فقيها من فقهاء المدينة فواطأوه عليه، ويقال إن جعفر المنصور أمره بوضع هذا الكتاب في متناول الناس ، موصيا إياه أن يتجنب تشدد عبد الله ابن عمر ورخص ابن عباس وشواد ابن مسعود وقال له أقصد أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة ، وقد استمر في تأليفه أربعين سنة وعندما عرضه عليهم قال لهم أخذتموه في أربعين يوما. ماأقل ما تفهمون منه، وقد ألف قبله مصنفات ومؤلفات وجوامع.

يحتوي الموطأ على أحاديث : 1- متصلة 2 - مرسلة، 3- منقطعة ، 4 - موقوفة، 5- بلاغات ،6- أقوال الصحابة والتابعين ، 7- ما استنبطه من الأحكام المستندة إلى العمل.

واعتمد الموطأ على الروايات المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم و موصولة أو مرسلة وعلى قضايا عمر بن الخطاب وفتاوى عبد الله بن عمر ثم أقوال الفقهاء السبعة :

- سعيد بن المسيب
- عروة بن الزبير
- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
- أبو بكر بن عبد الرحمن
- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
- خارجة بن زيد بن ثابت.
- وسليمان بن يسار.

وهم جميعا من الفقهاء التابعين.

وعندما يقول مالك بلغني فهو إسناد قوي ، ويقول الزرقاني أن بلاغات مالك ليست من الضعيف.

ونسخ الموطأ نحو عشرين نسخة وذكر أنها ثلاثين ، وقد اشتهر من هذه الروايات رواية يحيى بن يحيى الليثي.

يرى الحافظ ابن العربي وجمهور علماء المغرب أن الموطأ دون الصحيحين قال ابن العربي في " العارضة" الموطأ هو الأصل الأول واللباب، واعتبروا البخاري هو الأصل الثاني. فالموطأ لم يؤلف مثله ورأى الدهلوي أن كتاب الموطأ ينبغي أن يوضع في الرتبة الأولى مع الصحيحين، ويعتبر الشافعي الموطأ أعظم كتاب بعد كتاب الله، وقال ابن حنبل " ما أحسن الموطأ لمن تدين به" وقال ابن عبد البر : كتاب الموطأ لا مثيل له ولا كتاب فوقه بعد كتاب الله عز وجل، بناه مالك على تمهيد الأصول للفروع ، ويقول الفقهاء بشكل عام أنه ليس من كتب الفقه أقوى من الموطأ.

والذي أدخل كتاب لموطأ إلى المغرب الأقصى هو القاضي عامر بن محمد القيسي ، وتم هذا في عهد المولى إدريس ، وتحول المغاربة من المذهب الحنفي إلى المذهب المالكي ، وقد انتشر في القيروان والأندلس وغيره اهتم الفقهاء بالموطأ كما اهتموا بشروحه وروايته .

صنف الفقهاء المدونة في المذهب المالكي وعلى رأسهم علي بن زياد التونسي شيخ سحنون، وألف بعده أسد بن الفرات كتابه" الأسدية" ، الأصل الأول للمدونة . ولعل أهم كتاب وصل المغاربة بعد الموطأ هو المدونة الكبرى وهي عبارة عن أجوبة سئل عنها عبد الرحمن بن القاسم فأجاب عنها مما سمعه من شيخه مالك، وكان إذا لم يجد في المسألة رأيا أجاب بالقياس والرأي. وهذه تلقاها عبد الرحمن القاسم.من أسد بن الفرات 213هـ 828، وعنه تلقاها تلميذه سحنون 854/240.

تبقى المدونة هي أصل المذهب المالكي وعمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء لقد افتتن الناس بها افتتانا كثيرا ، أكثروا شروحها ومختصراتها ، وكان كما تقول المصادر سحنون معجبا بها . واعتبر الفقهاء المدونة مثل أم القرآن بالنسبة للصلاة ، وتحدثت كتب الطبقات وقالت : إن من الفقهاء من كان يحفظ المدونة عن ظهر قلب ، فمنهم من كتبها في اللوح وحفظها كما يحفظ القرآن وعلى رأسهم محمد بن سيمول الأنصاري الطليطلي . وقد كتبت من صدور الرجال لما أحرقها الموحدون ، يقول عنها الشيوخ أنه ما من حكم نزل من السماء إلا وتضمنته المدونة، فهم يعتبرونها أي الفقهاء من الفقه كمدونة سيبويه في النحو، وصنفها البرادعي بأنها أشرف ما ألف في الفقه من الدواوين ،ويقولون إن المدونة تضمنت بين دفتيها 36000 مسألة، ولذلك اعتبرت أم الكتب المالكية وأساس فقههم.

وتعتبر " الرسالة" كذلك من أهم ما ألف في المذهب المالكي وتعتبر الكتاب الثالث في الأهمية بعد " الموطأ" و" المدونة" . فقد عظم الفقهاء شأن رسالة أبي زيد القيرواني ، واشتهرت بينهم اشتهار النهار ، يقولون إن من حفظها أو اعتنى بها أعطاه الله ثلاثا: العلم والمال الطيب والعلاج ، ويقال إن نسخها كتبت بالذهب، وكان يعرف صاحبها بالمالك الصغير ويقطب المذهب، فهو قد جمع عقائد الإيمان وأحكام العبادات والمعاملات ومايسن أو يندب من الآداب . ألفها أبي زيد وسنه لا يتجاوز سبعة عشر عاما ، وكان على درجة كبيرة من الذكاء والنبوغ ، والاستعداد الفطري ، هذا وإن شراحها تكاثروا حتى زادت عن المائة شرح.